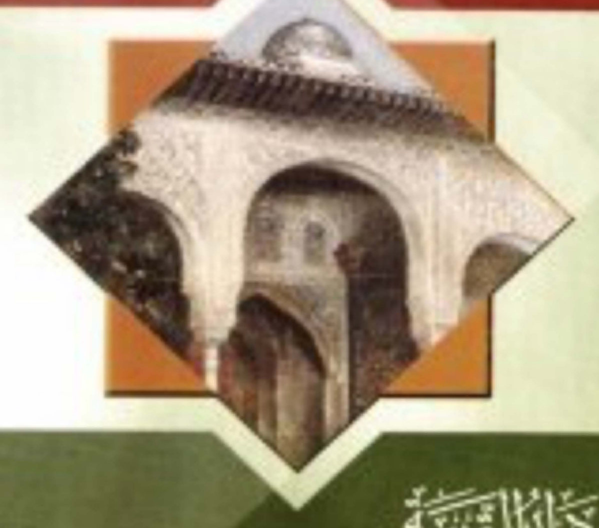
ظاهرة التهاون بالمواعيد

الأسباب المشكلات العلاج

الدكتور
محمد موسى الشريف



دار ابن كثير
دار التربية

ظاهرة
التهاون بالمواعيد

الأسباب المشكلات العلاج

الطبعة
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

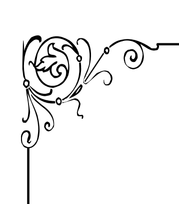
ظاهرة

التهاون بالمواعيد

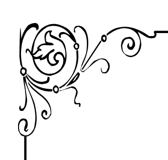
الأسباب   المشكلات   العلاج

الدكتور

محمد موسى الشريف



بسم الله الرحمن الرحيم



قال تعالى:

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾ [مريم: ٥٤].

وقال ﷺ:

«آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان».

[أخرجه الإمام البخاري]



مقَدّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة للعالمين وآله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإني في هذه الرسالة أبث شكوى، وأُنَفِّس عن هم، وأرغب في تبيان أمر طالما كدَّر عليَّ ما صفا من أمري، وفَرَّق ما اجتمع من عزمي، وصال وجال في نفسي؛ حتى أورثني وساوس ما عهدتها من شأني، وأفكاراً لم تكن لتدور بخَلَدي.

وهذا الأمر ذو الشأن الذي وصفت هو التخلف عن المواعيد المضروبة، والتأخر عن الوفاة بها تأخراً أدى إلى التنغيص علي تنغيصاً ساقني لكتابة ما كتبت وحكاية ما وصفت، وليس فيما سبق ذكره مبالغة أو تهويل، بل والله إن الأمر لكما وصفت وزيادة، والتأخر عن المواعيد المضروبة والتخلف عنها صار سمة كثير من أهل الفضل والصلاح بعد أن كان صفة أهل البطالة والتفلت؛ فكيف لا أكتب الذي كتبت ولا أسطر الذي سطرت بعد كل هذا؟!...

هذا وإني لأقول جازماً عالماً بما أقوله:

إن هذه القضية لمن الأهمية بمكان، وإنها إن لم تعالج العلاج المناسب كانت سبباً في عرقلة تحقيق كثير من القضايا والأمور التي

لا أرى سبباً لإنجازها إلا بعد علاج هذه القضية علاجاً يمكن معه السير لما أراده المرء وخطط له وارتضاه، والله أعلم.

محمد موسى الشريف

Email: mmalshareef@yahoo.com

Website: www.Altareekh.com

تمهيد

جاء الإسلام العظيم بجملة من الآداب الاجتماعية كان فيها فريداً متميزاً ـ مثل تميزه وانفراده في كل ما جاء به من عقائد وأحكام ـ ومنبع هذا التفرد والتميز هو أنها منزلة من لدن الله العليم الحكيم، العليم بما يصلح لعباده، الحكيم في تشريع ما يرتقي بهم إلى ما فيه خير دينهم ودنياهم، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

وهذه الآداب الاجتماعية الواردة في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ هي نسيج واحد ملتئم متماسك، لا يمكن الأخذ بطرف منه وترك سائره، بل لا بد من التحلي به جملة وتفصيلاً حتى يسود المجتمع ويرتقي في سلم المجد والعز.

ومن الآداب الاجتماعية المؤثرة في المجتمع وإحكام أمره، وسلاسة سيره، وحسن ارتباط أفراده بعضهم ببعض (أدب الوفاء بالمواعيد المضروبة)، وعدم التخلف عنها إلا بعذر قاهر صحيح مقبول، حتى يطمئن الناس بعضهم إلى بعض، ويثق بعضهم بوعد البعض الآخر وكلامه، وميثاقه وعهده، والتزامه الذي التزمه، والوعد المضروب الذي ارتضاه وقَبِله.

هذا وإني قد وجدت الناس كافة ـ إلا القليل ـ لا يقيمون لهذا الأمر وزنه الذي ينبغي له، ويفرطون فيه تفريطاً بيناً ويقصرون فيه كل التقصير، والعجيب أنهم بعد كل ذلك التفريط والتقصير لا يرون أنهم قد أتوا شيئاً، ولا أنهم مؤاخذون بشيء، ولا تلزمهم نقيصة، وتعارفوا على ذلك تعارفاً مريباً، وتحالفوا على التأخر عن مواعيدهم والتخلف عنها تخلفاً عجيباً غريباً، وكأن القوم اتفقوا على هذا وتعاقدوا عليه.

ولما رأيت الأمر قد عَمَّ وطم. وأن الخرق قد اتسع، رأيت أن أكتب فيه رسالة أمزجها بتجربة عشرين سنة كاملة ـ بل قد تزيد ـ قضيتها في معاناة هذا الأمر وتجرع غصصه، ومحاولة علاجه. وكم تكلمت في هذه القضية وحذرت من عواقبها، وأنحيت فيها باللائمة على أولئك الذين سلكوا هذا المسلك حتى صار دأَبَهم وديدنهم لكن:

لقد أسمعت إذ ناديت حيّاً ... ولكن لا حياة لمن تنادي
ونارٍ إن نفختَ بها أضاءت ... ولكن أنت تنفخ في رماد

وسأمزج هذه التجربة بقصص شاهدتها ووقعت لي أو قُصَّت عليَّ أو انتزعتها من بطون الكتب.

هذا وقد صنفت في الحفاظ على الأوقات كتبٌ كثيرةٌ[1]، ورسائل

---

(١) مثل كتاب: «الوقت في حياة المسلم» للأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي، وكتاب «قيمة الزمن عند العلماء» للأستاذ الشيخ عبد الفتاح أبو غدة رحمه الله تعالى، وكتاب «سوانح وتأملات في قيمة الزمن» للأستاذ الدكتور خلدون الأحدب، وكتاب «الوقت عمار أو دمار» للأستاذ جاسم المطوع، وغير ذلك.

عديدة، ومقالات متنوعة كلها تركز على قضية الاستفادة من الأوقات، وأن الوقت هو الحياة، وتبرز أهمية الوقت وتدلل عليه، وتذكر أمثلة مضيئة قديمة وحديثة استفادت من أوقاتها استفادة ظاهرة بينة، وتركت بذلك أجمل وأحسن الآثار. لكني لم أجد ـ فيما بحثت ونقبت ـ من كتب عن هذه القضية: قضية التخلف عن المواعيد المضروبة والتأخر عنها، وخصها بكتاب أو رسالة، لكني وقعت على نُتَفٍ لا تفي بالغرض ولا تشفي الصدور، فرأيت أن أكتب فيها رسالة أمزج فيها تجربتي وشهادتي بوقائع الآخرين وتجاربهم، وأزين ذلك بما ورد في كتاب الله تعالى وسنة رسوله الأعظم محمد ﷺ وبما ورد عن العرب الأوائل، والعلماء الأوائل منهم والآواخر والمسلمين وغيرهم، حتى أخرج من العهدة وأبرأ من التقصير، وأبين للناس جميعاً خطورة هذا الأمر ومغبته وعاقبته.

هذا وإني لا أبرئ نفسي من التقصير في هذا الأمر وغيره، ولكني رأيت أني قد التزمت في هذه القضية نوع التزام يمكنني من الحديث عن سلبياتها، حديث من لا يناقض نفسه، ولا ينطبق فيه قول الشاعر ـ إن شاء الله تعالى ـ في هذا الأمر خاصة:

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم

ومن ثم أردت النصح لإخواني الصالحين خاصة، الذين يخشون الله تعالى فيما يأتون ويذرون، ويهمهم رضاء الله تعالى فيما يصنعون ويتركون، وهم ملح البلد، وجمال المجتمع، وفاكهة القوم وخلاصة الناس، وبقية السلف وطليعة الخلف، ورواد المعالي، وقُنّاص

الحسنات، وعليهم الأمل معقود، وإليهم النظر ممدود، وعلى كواهلهم إعادة مجد الأمة، وقد عزموا على هذا وتعاقدوا عليه، لمثل أولئك أوجه نصحي، وفيهم أسدد سهام عتبي؛ لأني عليهم حريص، وبهم راغب، وعليهم مشفق، ولهم ناصح ومسدد ومؤيد، ولئن قسوت في العبارة فما جاوزت الحق ولا بالغت في التصوير والعرض، ولكن الذي رأيته ولم أسطره أعظم، والذي أعلمه ولا أبثه أكثر، والذي أتحمله فلا أنفق منه أكبر، والله الموفق وهو المسؤول أن يمن علينا بتغيير أحوالنا إلى الأحسن والأكمل والأجمل إن شاء سبحانه وتعالى.

المبحث الأول

التأصيل لقضية الالتزام بالمواعيد المضروبة وعدم التخلف عنها

أولاً: ما جاء في كتاب الله تعالى:

أمر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين بجملة من العبادات كالصلاة والصيام والزكاة وغيرها، وجعل لها أجلاً مضروباً وموعداً محدداً بيَّنه على لسان نبيه الأعظم محمد ﷺ، وحث عباده على المحافظة على تلك الأوقات وعدم تضييعها، وجعل الصلاة مثالاً على ذلك فقال جَلَّ من قائل: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَـٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣][١]، فإذا صلى المرء قبل دخول الوقت بثانية فكبَّر ودخل في الصلاة فلا تقبل منه، وكذلك إذا أفطر قبل مغرب الشمس بلحظة فصيامه باطل، وإن شرب أو أكل بعد الفجر بلحظة عالماً متعمداً فصيامه باطل، وهكذا.. فدينٌ يقيم عباداته وشرائعه على اللحظات لهو دين عظيم؛ إذ يتربى أتباعه على الدقة والنظام، وعلى مراعاة الأوقات والتثبت في الأزمنة، فحريٌّ بهم أن يكونوا أكثر أهل الأرض انضباطاً ومحافظة على مواعيدهم، لكن لما بعدنا عن ديننا وإسلامنا

(١) معنى «موقوتاً»: أي محدداً بوقت معين.

ظهرت فينا جملة وافرة من العلل منها هذه العلة البغيضة: علة تضييع المواعيد والتفريط فيها.

وما أحسن قول الأستاذ عبد الفتاح أبو غدة[١] ـ رحمه الله تعالى ـ حيث يقول: «أرشدنا الله تعالى في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه العظيم ﷺ إلى أهمية الوقت والتوقيت في حياتنا وأعمالنا، فرسم لنا الأحكام الشرعية، وحدد لنا أوقاتها ومواعيد أدائها، وحذرنا من التساهل والتجاوز بها عن توقيتها، وفي ذلك منه سبحانه تعليم وتربية لنا على تنظيم الأعمال والقيام بها في مواقيتها المحددة؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوۡقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣]..

والصلاة تتكرر من المسلم والمسلمة في اليوم والليلة خمسَ مرات، فإذا أداها المسلم في أول وقتها كما طُلبت منه غرست في سلوكه خلق الحفاظ على الوقت والدقة في المواعيد، والانتباه لتوقيت كل عمل بوقته المناسب له.. ففي زمن يسير ينطبع سلوك فاعلها بخلق ضبط الوقت ودقة الوعد، وأداء كل عمل في ميقاته المخصص له على الوجه الأمثل، ويصير ذلك له عادة وطبيعة متبعة في سلوكه وحياته.

وقد رسم الشرع الحنيف التوقيت في تكاليف كثيرة غيرَ الصلاة فوقَّت في أحكام الحج، والزكاة، والصوم، وزكاة الفطر، والأضحية، والسفر، والتيمم، والمسح على الخفين، والرضاع، والطلاق، والعدة، والرجعة، والنفقة، والدَّين، والرهن، والضيافة، والعقيقة،

---

(١) عالم سوري مشهور، برز في مجال الحديث خاصة، وله مشاركة في فنون وعلوم، انتقل إلى السعودية للتدريس بها قديماً واستقر بها، وتوفي بها سنة ١٤٢٠، رحمه الله تعالى. له العديد من المصنفات النافعة والتحقيقات الجيدة، ووقعت له وقائع مع بعض العلماء كعادة الأقران غفر الله لهم جميعاً ونفعنا بعلومهم.

والحيض، والنفاس، وغيرها، وما ذلك إلا لمعنى هام رتب الشرع التوقيت عليه، ولَحَظ المصلحة والنفع به.

وقد غفل كثير من المسلمين اليوم عن هذا التوجيه الإسلامي الدقيق لهم من جانب الشرع الأغرّ، فجعلوا يأخذون ويتعلمون أهمية ربط الأعمال بالتوقيت المناسب من غيرهم!! وكأنهم لم يُمرَّنوا أو يُرَبَّوا على ذلك من أول يوم كلفوا فيه بأحكام الشريعة الغراء، وفي أولها الصلاة»[(١)].

وقد مدح الله ـ تبارك وتعالى ـ نبيّاً كريماً بالصدق في الوعد، والالتزام به، فقال جل من قائل: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ [مريم: ٥٤]، وقال الإمام القرطبي[(٢)] ـ رحمه الله تعالى ـ معلقاً على هذه الآية الكريمة: «صِدْق الوعد من خلق النبيين والمرسلين، وضِده ـ وهو الخُلف ـ مذموم، وذلك من أخلاق الفاسقين والمنافقين.. وقد أثنى الله تعالى على نبيه إسماعيل فوصفه بصدق الوعد، واختلف في ذلك فقيل: إنه وعد من نفسه بالصبر على الذبح فصبر حتى فدي.. وقيل: وعد رجلاً أن يلقاه في موضع، فجاء إسماعيل وانتظر الرجل يومه وليلته، فلما كان في اليوم الآخر جاء فقال له: مازلت هاهنا في انتظارك منذ أمس، وقيل: انتظره ثلاثة أيام..

---

(١) «قيمة الزمن عند العلماء»: ٩ ـ ١١.

(٢) الشيخ الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي. إمام متفنن متبحر في العلم، له تصانيف تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله، توفي سنة ٦٧١ بصعيد مصر التي عاش فيها رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «الوافي بالوفيات»، ٢/ ١٢٢ ـ ١٢٣.

وقد قيل: إن إسماعيل لم يَعِد شيئاً إلا وفّى به، وهذا قول صحيح، وهو الذي يقتضيه ظاهر الآية، والله أعلم..»[١].

وقال الحافظ السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ[٢]: وهذه الآية أوردها البخاري[٣] حيث ترجم في صحيحه[٤]: باب من أمر بإنجاز الوعد[٥].

وقال الحافظ السخاوي أيضاً:

ومن الأدلة في الوفاء بالوعد ما أورده البخاري.. عن سعيد بن جُبَيْر[٦] أنه سأل ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ:

أي الأجلين المشار إليهما في قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ﴾ [القصص: ٢٧] قضى موسى ـ عليه السلام ـ؟

قال: قضى أكثرهما وأطيبهما، يعني عشر سنين، إن رسول الله إذا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: ١١/ ١١٥.

(٢) الشيخ الإمام العلامة الحافظ محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاويّ القاهري الشافعي. ولد سنة ٨٣١. بلغ من أخذ عنهم من المشايخ ٤٠٠ شيخ واختص شيخ الإسلام ابن حجر العسقلاني. وله مصنفات كثيرة. توفي بالمدينة المنورة سنة ٩٠٢ بعد أن جاوز فيها زمناً، رحمه الله تعالى. انظر ترجمته في «النور السافر»: ١٦ ـ ٢١.

(٣) الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجُعفي بالولاء. ولد سنة ١٩٤ ببخارى. وهو أحد حفاظ الإسلام الكبار. توفي سنة ٢٥٦ في خرْتنك إحدى قرى سمرقند، رحمه الله تعالى. انظر سير أعلام النبلاء: ١٢/ ٣٩١ ـ ٤٧١.

(٤) أي عنوان ـ من العنوان ـ.

(٥) «التماس السعد»: ١١ ـ ٧٠.

(٦) سعيد بن جبير الأسدي بالولاء، الكوفي الثقة الثبت. فقيه، قتله الحجاج ولما يبلغ الخمسين، رحمه الله تعالى. انظر «التقريب»: ٢٣٤.

قال فعل[١]. . وفي لفظ آخر إن النبي إذا وعد لم يخلف. ثم قال الحافظ السخاوي ـ رحمه الله ـ: والمراد برسول الله أو نبي الله: من اتصف بذلك، ولم يرد شخصاً بعينه، ووجه الاستدلال من هذا[٢] أن موسى ـ عليه السلام ـ لم يجزم بوفاء العشر في قوله: ﴿ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ﴾ [القصص:٢٨] بعد قوله له: ﴿عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ﴾، ومع عدم جزمه عليه السلام وفّاها؛ فكيف لو جزم؟![٣].

وقد جاء في كتاب الله تعالى جملة آيات فيها ندب أو إيجاب ـ على ما سيأتي تفصيله بعد ذلك إن شاء الله تعالى[٤] ـ للوفاء بالوعد، نصّاً أو إشارة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]. وقال جل من قائل: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣].

ثانياً: ما ورد في سنة رسول الله ﷺ:

لقد بين النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم أهمية الالتزام بالوقت دقائق وثوانيَ بياناً عمليّاً، فقد حدد لهم أوقات الصلوات فلا يتقدموا على الوقت المضروب ولو لحظةً، وبيَّن لهم أوقات الصيام فطراً وإمساكاً فلا يتقدموا عليها ولو لحظةً، وكره لهم ﷺ تأخير الفطر وأمرهم بتأخير

---

(١) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب من أمر بإنجاز الوعد.

(٢) أي الاستدلال على وجوب الوفاء بالوعد، وسيأتي ـ إن شاء الله ـ في مبحث قادم.

(٣) «التماس السعد»: ٧١ ـ ٧٢.

(٤) انظر المبحث الثاني: أقوال الفقهاء في هذه المسألة.

السحور، وفي ذلك ما فيه من مراعاة الأوقات مراعاة دقيقة، وأخبرهم ﷺ بوقت موقف عرفة، فمن أفاض من عرفة قبل المغرب بلحظة لزمه دم عند بعض الفقهاء، ومن أتى بعد فجر النحر بلحظة لم يصح وقوفه في عرفة ولزمه إعادة الحج، وهكذا نجد الشرع عَدَّ الثواني، بَلْه الدقائق والساعات[١]، أمراً مهماً وربط بها جملة من أركان الإسلام وعباداته المهمة[٢]، وهذا في زمان لم يكن يُعهد عن العرب المحافظة على الثواني واللحظات هذه المحافظة الدقيقة فرباهم النبي ﷺ بهذا الذي أمرهم به أن يصنعوه، وأخذهم بذلك أخذاً لا هوادة فيه، وكل ذلك من أجل أن تصح عباداتهم، وفي ذلك ما فيه من تعلم النظام والدقة تعلماً ما كان العالم ليعرفه من نفسه إلا في العصر الأخير، فيا بؤس كثير من العرب اليوم؛ إذ يقولون عمن يلتزم بوقته فلا يتأخر عنه ولا يتقدم عليه: مواعيده غربية أو إنجليزية، فهذا يدل على هوان في النفوس، وعدم معرفة تاريخ الإسلام المجيد ومحافظة أهله على المواعيد منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، لكن ضيعنا معرفة ذلك كما ضيعنا معرفة أكثر الجوانب المشرقة عن ديننا وحضارتنا.

ولقد ربَّى الله تعالى نبيه ﷺ وصنعه على عينه منذ حمل أمه به بل منذ تقلبه في أصلاب الطاهري الأنكحة منذ آدم عليه وعلى نبينا أفضل

---

(١) أي فضلاً عن الدقائق والساعات، والتعبير الذي في المتن متفق عليه لكن هذا (فضلاً عن) مختلف فيه عند اللغويين، وبعضهم لا يعده شيئاً.

(٢) وذلك نحو المسح على الخفين فهو يوم وليلة، أي بتعبيرنا اليوم: أربع وعشرون ساعة، ونحو إخراج الأضحية فهو بعد صلاة العيد، ومثل صدقة الفطر فهي قبل صلاة العيد ولو بلحظة. وهكذا..

الصلاة والسلام، ووضعته أمه فحفظه الله تعالى وأعده لحمل أعباء الرسالة العظمى، فأُثرت عنه الأخلاق الرضية التي أثرت أعظم تأثير فيمن شاهدها وسمعها، وذلك قبل الرسالة؛ فكيف به بعدها بأبي هو وأمي ﷺ؟!

ومن جملة أخلاقه الرضية الزكية قبل مبعثه ما كان عليه ﷺ من الالتزام بالموعد والمحافظة عليه، فقد قال عبد الله بن أبي الحَمْساء[١] ـ رضي الله تعالى عنه ـ: «بايعت النبي ﷺ ببيع قبل أن يُبعث، وبقيت له بقية، فوعدته أن آتيه بها في مكانه فنسيت، فذكرت بعد ثلاث[٢] فجئته فإذا هو في مكانه، فقال: **يا فتى لقد شققت علي، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك**»[٣][٤].

وفعل النبي ﷺ هذا دالٌّ على محافظته الشديدة ﷺ على الوفاء بالوعد، وأهمية ذلك في حياة المسلم الصادق الإسلام النقي من النفاق وخلف الوعد.

أما الأحاديث الواردة عنه ﷺ في هذا المعنى فكثيرة، منها الحديث المشهور:

---

(١) عبد الله بن أبي الحَمْساء العامري، له صحبة. سكن البصرة وقيل مصر. انظر «التقريب»: ٣٠٠.

(٢) أي ثلاث ليال.

(٣) الحديث أخرجه الإمام أبو داود في سننه: كتاب الأدب: باب في العدة، والحديث ضعيف لكنه يصلح للاستشهاد به في هذا المقام، والله أعلم.

(٤) قال النووي: أجمعوا على أنَّ مَن وعد، إنساناً شيئاً ليس بمنهي عنه فينبغي أن يفي بوعده، وهل ذلك واجب أو مستحب، فيه خلاف، انظر «عون المعبود شرح سنن أبي داود»: ١٣/ ٣٤٠. وسيأتي تفصيل لهذا في المبحث القادم إن شاء الله تعالى.

«**آية المنافق ثلاث: إذا حَدَّث كذب، وإذا ائتمن خان، وإذا وعد أخلف**»[(١)].

وقد قال الحافظ السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في قول النبي ﷺ: «**إذا وعد أخلف**: أنه محمول على مَن وعد وهو على عزم الخلف أو ترْكِ الوفاء من غير عذر، فأما مَن عزم على الوفاء ومَنْ له عذر منعه من الوفاء لم يكن منافقاً وإن جرى عليه ما هو صورة النفاق، ولكن يحترز من صورة النفاق كما يحترز من حقيقته.. ولا ينبغي أن يجعل نفسه معذوراً من غير ضرورة..»[(٢)].

ومما جاء في الأحاديث يفيد أهمية الوفاء بالوعد والصدق فيه ما جاء في حديث هِرَقْل المشهور لما قال لأبي سفيان: «سألتك ماذا يأمركم؟ فزعمت أنه أمركم بالصلاة، والصدق والعفاف، والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، قال: وهذه صفة نبي»[(٣)]

فالوفاء بالوعد والعهد من صفة الأنبياء، ومن صفة أتباعهم ومن جرى على سنتهم صلوات الله وسلامه عليهم تسليماً كثيراً.

(١) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه: كتاب الشهادات: باب من أمر بإنجاز الوعد، وفعله المحسن.

(٢) «التماس السد»: ٨٣ ـ ٨٤.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الشهادات: باب من أمر بإنجاز الوعد، وفعله الحسن.

المبحث الثاني

أقوال الفقهاء في حكم الإخلال بالوعد

قد اختلفت أقوال الفقهاء العظام ـ عليهم رحمة الله تعالى ـ في حكم الوفاء بالوعد شرعاً، وقد بيَّن الحافظ السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ تلك الأقوال تبييناً حسناً حيث قال:

«قال قطب زمانه أبو زكريا النوويُّ[١] في «الأذكار»: قد أجمع العلماء على أن من وعد إنساناً شيئاً ليس بمنهي عنه فينبغي له أن يفي بوعده، وهل ذلك واجب أو مستحب؟ فيه خلاف بينهم فذهب الشافعي[٢] وأبو حنيفة[٣] ـ رحمهما الله ـ والجمهور على أنه مستحب،

---

(١) يحيى بن شرف بن مُرِّي، مفتي الأمة، شيخ الإسلام، أبو زكريا النووي، الحافظ الفقيه الشافعي، الزاهد، أحد الأعلام. ولد سنة ٦٣١ بـ (نوى) إحدى قرى حوران ببلاد الشام. قدم إلى دمشق فاجتهد في طلب العلم وألف مصنفات نفع الله بها المسلمين واشتهَرت. توفي بـ (نوى) سنة ٦٧٦، رحمه الله تعالى. انظر «فوات الوفيات»: ٤/ ٢٦٤ ـ ٢٦٨، و«الأعلام»: ٨/ ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٢) الإمام الشهير محمد بن إدريس الشافعي، توفي بالقاهرة سنة ٢٠٤ ـ رحمه الله تعالى ـ عن أربع وخمسين سنة، وعُدّ المجدد للقرن الثاني. انظر «التقريب»: ٤٦٧.

(٣) الإمام الشهير النعمان بن ثابت الكوفي. فقيه عالم، مات سنة ١٥٠، وله سبعون سنة، رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق. ٥٦٣.

فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة تنزيه شديدة، ولكن لا يأثم. . وذهب جماعة إلى أنه واجب. . ».

ثم قال الحافظ السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ: وقد حُكي القول بالوجوب عن أحمد، ثم قال النووي: قال ابن العربي[١]: وذهب المالكية مذهباً ثالثاً إلى أنه إن ارتبط الوعد بسبب كقوله: تزوج ولك كذا، أو احلف أنك لا تشتمني ولك كذا، وجب الوفاء بالوعد، ونحو ذلك، وإن كان وعداً مطلقاً لم يجب. انتهى.

ثم ذكر الإمام السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ قضية مهمة، وهي أنه قد استشكل أحد المشايخ[٢] قول النووي بعدم وجوب الوفاء بالعهد مع إيراده آيات قرآنية في كتابه «الأذكار» صدَّر بها الحديث عن هذه المسألة، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤]، وقوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: ١]، وقوله جل من قائل: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٢ ـ ٣]، ثم قال هذا الشيخ: إن هذه الآية الأخيرة أشدها، ثم أورد الأحاديث التي فيها آية المنافق إذا وعد أخلف، والدلالة على الوجوب منها ـ أي من الآيات والأحاديث ـ قوية؛ فكيف حملوه على كراهة التنزيه مع هذا الزجر الشديد الذي لم يرِد مثله إلا في المحرمات الشديدة التحريم؟!!.

---

(١) أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي. إمام علامة حافظ، متبحر، ولد سنة ٤٦٨ بإشبيلية، ونشأ بها، ثم ارتحل إلى مصر والحجاز والعراق، كان حسن المعاشرة، وقد تولى القضاء في إشبيلية وكان صارماً فيه. له تأليف عديدة، توفي سنة ٥٤٣، ودفن في فاس. انظر «الديباج المذهب»: ٢/ ٢٥٢ ـ ٢٥٦.

(٢) هو والد شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر العسقلاني، رحمهم الله جميعاً.

ثم ذكر الإمام السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ أن الإمام تقي الدين السُّبكي(١) قال: قول الأصحاب(٢): لا يجب الوفاء بالشرط مشكل؛ لأن ظواهر الآيات والسنة تقتضي وجوبه، وإخلاف الوعد كذب، والكذب من أخلاق المنافقين، ثم رجح السبكي بعد كلام له في هذه المسألة وجوب الوفاء بالوعد.

ثم ذكر الإمام السخاوي أمراً مهماً في هذا الموضوع حيث ذكر أن أحد المشايخ(٣) استشكل القول بعدم الوجوب في فرضية له حيث قال: فإن قيل فيجب الوفاء بالوعد للخروج من الكذب فإنه حرام، وترك الحرام واجب، وقد ذكر الماوردي(٤) في الشهادات في الكلام على المروءة أن مخالفة الوعد كذب ترد به الشهادة.

فالجواب: ما قال الغزالي في «الإحياء» أن إخلاف الوعد إنما

---

(١) علي بن عبد الكافي بن علي السُّبكي، تقي الدين أبو الحسن الشافعي. ولد بسبك العبيد بمصر سنة ٦٨٣، وتفقه على والده، ودخل القاهرة وطلب العلم على علمائها، وتولى القضاء في دمشق والخطابة بالجامع الأموي، وولي التدريس بدار الحديث الأشرفية وفي عدة مدارس، وتنقل في الوظائف إلى أن انتقل إلى القاهرة سنة ٧٥٦، فمات فيها، رحمه الله تعالى. له تصانيف مفيدة وصفات جليلة. انظر «الدرر الكامنة»: ٣/ ١٣٤ ـ ١٤٢.

(٢) أي الشافعية.

(٣) وهو الشيخ الإمام علي بن محمد بن حبيب الماورديُّ الشافعيُّ، أقضى القضاة، صاحب التصانيف، ولي القضاء ببلاد شتى ثم سكن بغداد، تبحر في المذهب الشافعي. توفي سنة ٤٥٠، وقد بلغ ستاً وثمانين سنة، رحمه الله تعالى، انظر «سير أعلام النبلاء»: ١٨/ ٦٤ ـ ٦٨.

(٤) «التماس السعد»: ٥٣ ـ ٦٢ بتصرف، هذا وقد سبق إيراد كلام الحافظ السخاوي ـ رحمه الله تعالى ـ في استدلال البخاري ـ رحمه الله تعالى ـ بالقرآن على وجوب الوفاء بالوعد، انظر المبحث الأول: أولاً.

يكون كذباً إذا لم يكن في عزمه حين الوعد الوفاء به، أما لو كان عازماً عليه، ثم بدا له ألا يفعل فليس بكذب؛ لأنه حينئذ إخبار عما في نفسه، وكان مطابقاً له فيكون صدقاً. انتهى(١).

ويتبين لمن طالع هذا الكلام المتقدم أن الخُلف بالوعد أقل أحواله عند الفقهاء الكراهة الشديدة، وأن القول بحرمة إخلاف الوعد ووجوب الوفاء به للمستطيع قول وجيه وله أدلته الوجيهة، فينبغي للعاقل والحالة هذه أن يفي بوعده ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وألا يعزم على الإخلاف والنكث فإنه في أقل أحواله مُذهب للمروءة وملحق صاحبه بزمرة العوام الذين لا يوثق بأقوالهم ولا مواعيدهم.

تَيَمَّمْتُ ما أرجوه من حسن وعدكم
فكنت كمن يرجو منال الفراقدِ(٢)
هَبُونيَ لم أستأهل العُرفَ منكمُ
أما كنتمُ أهلاً لصدق المواعدِ(٣)(٤)

وكان يقال: آفة المروءة خلف الوعد(٥)، والله المستعان.

(١) «المنتقى من مكارم الأخلاق»: ٥٤.
(٢) تيممت: أي قصدت وطلبت، والفراقد: نجوم السماء.
(٣) هبوني: أي عُدُّوني فرضاً وجدلاً.
(٤) المصدر السابق.
(٥) المصدر السابق.

المبحث الثالث

ما ورد عن السلف رحمهم الله تعالى من أخبار وأقوال في إنجاز الوعد

قد كان السلف الصالح ـ رحمهم الله تعالى ـ يحرصون كل الحرص على إنجاز ما وعدوا به والتزامه، حرصهم على كل أمور الخير في حياتهم، فهذا محمد بن سيرين[١] ـ رحمه الله تعالى ـ يواعده ابن عبد ربه القَصَّاب[٢] فيقول:

«واعدت محمد بن سيرين أن أشتري له أضاحي فنسيت موعده لشغل ثم ذكرت بعدُ، فأتيته قريباً من نصف النهار، وإذا محمد ينتظرني، فسلمت عليه فرفع رأسه فقال: أما أنه قد يقبل أهون ذنب منك، فقلت: شُغِلتُ، وعنفني أصحابي في المجيء إليك وقالوا: قد ذهب ولم يقعد إلى الساعة، فقال: لو لم تجئ حتى تغرب الشمس ما قمت من مقعدي هذا إلا للصلاة أو لحاجة لا بد منها»[٣]. ولا ريب

---

(١) محمد بن سيرين الأنصاريّ، أبو بكر البصريّ. ثقة ثبت، عابد، كبير القدر. كان ممن لا يرى الرواية بالمعنى، توفي سنة ١١٠ ـ رحمه الله تعالى ـ وحديثه في الكتب الستة، انظر «التقريب»: ٤٨٣.

(٢) ذكر محقق كتاب «التماس السعد» أن يحيى بن معين وثقه، وأنه ممن روى عن ابن سيرين، وعزى ذلك إلى «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم: ٦/ ٤٢ ـ ٤٣، الترجمة رقم: ٢١٨.

(٣) «التماس السعد»: ٧٠ ـ ٧١.

أن صنيعه هذا ـ رحمه الله تعالى ـ يدل على حرصه الشديد على الوفاء بوعده وإعذار الآخرين المتأخرين.

مدة الانتظار:

ومن اللطائف في هذا الباب ما جاء في مدة الانتظار، حيث يقول الحافظ السخاويّ ـ رحمه الله تعالى ـ:

«أقَّت بعضهم الانتظار بحد فإن لم يجئ فارق.. عن الحسن بن عبيد الله النخعي[١] قال: قلت لإبراهيم النخَعيّ[٢]: الرجل يواعد الرجل الميعاد ولا يجيء؟ قال: لينتظره ما بينه وبين أن يدخل وقت الصلاة التي تجيء»[٣].

ولا ريب أن هذا الذي قاله إبراهيم النخَعي ـ رحمه الله تعالى ـ ليس بواجب إنما هو داخل في مكارم الأخلاق مختص بها، وحدده بعضهم اليوم متفاوتاً من ربع إلى نصف الساعة، والله أعلم.

وقال الحافظ السخاويّ ـ رحمه الله تعالى ـ:

«كان أصحاب عبد الله، يعني ابن مسعود[٤] رضي الله عنه يقولون: إذا وعد[٥]

---

(١) الحسن بن عبيد الله بن عروة النخعي، أبو عروة الكوفي. ثقة فاضل، مات سنة ١٣٩ رحمه الله تعالى، انظر «التقريب»: ١٦٢.

(٢) إبراهيم بن يزيد بن قيس النخعيّ، أبو عمران الكوفي الفقيه، ثقة، مات سنة ٩٦، وله خمسون سنة تقريباً، رحمه الله تعالى، انظر المصدر السابق: ٩٥.

(٣) «التماس السعد»: ٧١.

(٤) عبد الله بن مسعود بن غافل الهُذلي، أبو عبد الرحمن من السابقين الأولين ومن كبار علماء الصحابة. أمَّره عمر رضي الله عنه على الكوفة، مات سنة ٣٢ بالمدينة، رحمه الله تعالى، انظر «التقريب»: ٣٢٣.

(٥) أي ابن مسعود رضي الله عنه.

فقال: إن شاء الله لم يخلف»[١].

وهذا ابن مسعود رضي الله عنه يقول:

«لا يصلح الكذب في جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم ولده شيئاً ثم لا ينجز له»[٢].

وقال الحافظ السخاويّ ـ رحمه الله تعالى ـ:

كان بعضهم يحذر من التقيد بعهدة الوعد، فعن فرات بن سليمان[٣] قال: كان يقال: إذا سُئلت فلا تعد، وقل: أسمع ما تقول فإن يقدر شيء كان.

وعن شعبة[٤] قال: ما وعدت أيوب، يعني السَّخْتيانيّ[٥]، موعداً قطُّ إلا قال حين يريد أن يفارقني: ليس بيني وبينك موعد، فإذا جئت وجدته قد سبقني.

ونحوه قول أبي عَوانة[٦]:

---

(١) «التماس السعد»: ٧٤.

(٢) المصدر السابق: ٧٧.

(٣) فرات بن سليمان الحضرمي الجزري الرقي. وثقة الإمام أحمد وغيره، مات سنة ١٥٠، رحمه الله تعالى، انظر «التماس السعد»: ٩١، وقد نقل المحقق الترجمة عن «لسان الميزان»: ٤/ ٤٣١، و«تعجيل المنفعة»: ٣٣١ ـ ٣٣٢، وكلاهما لابن حجر.

(٤) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكيّ بالولاء، أبو بسطام الواسطي ثم البصري. ثقة حافظ متقن، أمير المؤمنين في الحديث، وهو أول من فتش عن الرجال بالعراق وذبَّ عن السُّنة، وكان عابداً، مات سنة ٦٠، رحمه الله تعالى، انظر «التقريب»: ٢٦٦.

(٥) أيوب بن أبي تميمة كيسان السَّختياني، أبو بكر البصري. ثقة ثبت حجة من كبار الفقهاء العباد. مات سنة ١٣١، وله خمس وستون سنة، رحمه الله تعالى، انظر المصدر السابق: ١١٧.

(٦) وَضَّاح اليَشكري أبو الواسطي البزاز، أبو عوانة ثقة ثبت، مات سنة ١٧٥ أو التي تليها، رحمه الله تعالى، انظر المصدر السابق: ٥٨٠.

كان رَقَبة[١] يعدنا في الحديث ثم يقول: ليس بيني وبينك موعد نأثم من تركه، ويسبقنا مع ذلك إليه[٢].

وهذا عبد الله بن عمرو بن العاص[٣] ـ رضي الله عنهما ـ حضرته الوفاة فقال:

«إنه قد كان خطب إلى ابنتي رجل من قريش، وقد كان مني إليه شبيه بالوعد، فوالله لا ألقى الله بثلث النفاق، اشهدوا أني قد زوجتها إياه»[٤].

وهذا المهلب بن أبي صُفْرة[٥] يقول لابنه:

«يا بني، إنما كانت وصية رسول الله ﷺ عِداتٍ أنفذها أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فلا تبدأ بالعِدة فإن مخرجها سهل ومصدرها وَعر»[٦].



(١) رقبة بن مَصْقَلة العبدي الكوفي، أبو عبد الله، ثقة مأمون، مات سنة ١٢٩، رحمه الله تعالى، انظر المصدر السابق: ٢١٠.

(٢) «التماس السعد»: ٩١ ـ ٩٢.

(٣) عبد الله بن عمرو بن العاص السهميّ، أبو محمد، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقراء، مات سنة ٦٣ على الأرجح بالطائف على الراجح، رحمه الله تعالى، انظر «التقريب»: ٣١٥.

(٤) «التماس السعد»: ٨٩.

(٥) العتكيُّ الأزديُّ، أبو سعيد البصريُّ. من ثقات الأمراء، وكان عارفاً بالحرب، أخرج له أبو داود والترمذي والنسائي، وتوفي سنة ٨٢، رحمه الله تعالى، انظر «التقريب»: ٥٤٩.

(٦) المصدر السابق: ٩٢، وعزاه إلى «شعب الإيمان للبيهقي»، وقال المحقق: ٩/٣٠٩، وإسناده رجاله ثقات.

المبحث الرابع

ما جاء في كتب الآداب وغيرها من أهمية الالتزام بالمواعيد المضروبة وعدم الإخلال بها

قد جاء في كلام العرب نظماً ونثراً أقوال لطيفة في بيان أهمية الالتزام بالصدق في الوعد والتنفير من إخلافه والغض من شأن من يعتاد ذلك الفعل ويرتضيه له خلقاً، فمن ذلك:

قال عبد الرحمن بن أَبْزى رضي الله عنه[١]:

كان داود عليه السلام يقول: «لا تَعِدنَّ أخاك شيئاً لا تنجزه له، فإن ذلك يورث بينك وبينه عداوة»[٢].

قال عمرو بن الحارث[٣]:

---

(١) عبد الرحمن بن أَبْزَى الخزاعيّ بالولاء. صحابي صغير، رضي الله عنه وكان أميراً لعلي رضي الله عنه على خراسان، انظر «التقريب»: ٣٣٦.

(٢) «المنتقى من مكارم الأخلاق»: ٥٥.

(٣) عمرو بن الحارث بن يعقوب، أبو أمية الأنصاري السَّعدي، ـ بالولاء ـ المدني الأصل المصريّ. العلامة الحافظ، الثبت، عالم الديار المصرية ومفتيها، ولد بعد التسعين، وروى عنه خلق كثير، واشتهر اسمه، وكان أخطبَ أهل زمانه وأبلغهم وأرواهم للشعر. أخرجه صالح بن علي الهاشمي من المدينة إلى مصر مؤدباً لبنيه فانصلح حاله واغتنى، مات سنة ١٤٨، رحمه الله تعالى، انظر «سير أعلام النبلاء»: ٦/ ٣٤٩ ـ ٣٥٣.

«كنتُ متى شئتُ أجد من يَعِد ويُنجز، فقد أعياني[(١)] من يَعِد ولا ينجز».

قال: «وكانوا يفعلون ولا يقولون، فقد صاروا يقولون ويفعلون، ثم صاروا يقولون ولا يفعلون، ثم صاروا لا يقولون ولا يفعلون»[(٢)].

وتقول العرب: «بَرْقٌ خُلَّب» إذا كان كاذباً لم يأت بمطر، وكذلك المرء إذا وعد فأخلف، ضربته العرب مثلاً لمن يعد ولا يفي[(٣)].

والعرب تقول: أنجز حرٌّ ما وعد[(٤)].

وهذه طريفة لطيفة، ونادرة عزيزة تبين ثقل الوعد عند الأحرار ذوي المروءات، فعن معاذ بن العلاء[(٥)] قال:

«سأل رجل أبا عمرو بن العلاء[(٦)] حاجة فوعده بها، ثم إن الحاجة تعذرت[(٧)] على أبي عمرو، فلقيه الرجل بعد ذلك فقال له: أبا عمرو، وعدتني وعداً فلم تنجزه، فقال أبو عمرو: فمن أولى بالغم؟ قال: أنا، قال: لا، بل أنا. قال الرجل: وكيف ذلك أصلحك الله؟ قال:

---

(١) أي أتعبني.

(٢) «عيون الأخبار»: ٣/ ١٤٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق: ٣/ ١٤٩.

(٥) عرفه محقق الكتاب فقال نقلاً عن «تهذيب التهذيب»: ١٠/ ١٩٢: معاذ بن العلاء بن عمار المازني، أبو غسان البصري، روى عن أبيه ونافع مولى ابن عمر وسعيد بن جبير، ذكره ابن حبان في «الثقات».

(٦) أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازني النحوي القارئ، واختلف في اسمه، لكن الأصح أنه العريان. ثقة، من علماء العربية. مات سنة ١٥٤ وهو ابن ست وثمانين سنة، رحمه الله تعالى، انظر «التقريب»: ٦٦٠.

(٧) لم يمكن قضاؤها.

لأني وعدتك وعداً فأُبتَ[١] بفرح الوعد، وأُبتُ أنا بهم الإنجاز، فبتَّ ليلتك فرحاً مسروراً، وبتُّ ليلتي مفكراً مهموماً، ثم عاق القدر عن بلوغ الإرادة فلقيتني مُدلاً[٢] ولقيتك محتشماً[٣]»!![٤].

ووصف أعرابيٌّ قوماً فقال:

«أولئك قوم أدبتهم الحكمة، وأحكمتهم التجارب، ولم تغررهم السلامة المنطوية على الهَلَكة، ورحل عنهم التسويف الذي قطع الناس به مسافة آجالهم، فقالت ألسنتهم بالوعد وانبسطت أيديهم بالإنجاز، فأحسنوا المقال وشفعوه بالفعال»[٥]

وقال الحافظ السخاويّ ـ رحمه الله تعالى ـ ذاكراً حال أحد رجالات العرب: «إن عوف بن النعمان الشيباني كان يقول في الجاهلية: لأن أموت عطشاً أحب إليّ من أن أموت مِخْلافاً لوعد»[٦].

وقال الزُهريّ[٧]: «حقيق على من أَوْرَقَ بوعد أن يُثمر بفعل»[٨].

---

(١) أي رجعت.

(٢) أي: مجترئاً منبسطاً: انظر «لسان العرب» د ل ل.

(٣) أي منقبضاً مستحيياً.

(٤) «المنتقى من مكارم الأخلاق ومعاليها»: ٥٤.

(٥) المصدر السابق.

(٦) «التماس السعد»: ٩٤.

(٧) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب القرشي الزهري، أبو بكر الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، مات سنة ١٢٥، رحمه الله تعالى، انظر «التقريب»: ٥٠٦.

(٨) «عيون الأخبار»: ٣/ ١٤٥.

وقال أحد العرب:

قد بلوناك بحمد الله إن أغنى البلاءُ
فإذا جل مواعيدك والجَحْدُ سواءُ[١]

وقال عبد الصمد بن الفضل الرَقاشِيُّ[٢] لخالد بن دَيْسم عاملِ الرَيّ[٣]:

أخالدُ إن الرَيّ قد أَجْحَفَتْ بنا
وضاق علينا رَحْبُها ومعاشها
وقد أَطْمَعَتْنا منك يوماً سحابةٌ
أضاء لنا برقٌ وكف رِشاشها
فلا غيمها يصحو فيُؤْيَسَ طامعٌ
ولا ماؤها يأتي فتُروى عِطاشُها[٤]

وقال بعض العرب:

وعدتَ وكان الخُلف منك سجيةً
مواعيدَ عُرْقوبٍ أخاه بيثربِ[٥]

وقال أحد العرب:

---

(١) المصدر السابق: ٣/ ١٤٥.
(٢) لم أجد له ترجمة إلا أنه والد الأديبين أبي الفضل والعباس الرقاشيَّين البغداديين كما ورد في متن «عيون الأخبار»: ٣/ ١٤٥.
(٣) لم أقف له على ترجمة.
(٤) «عيون الأخبار»: ٣/ ١٤٥.
(٥) «التذكرة الحمدونية»: ٨/ ١٦٣.

لأَحسنُ من ظبية بالجَرَدْ
مُقَرْطَقَةً ثَدْيُها قد نَهدْ[(١)]

بِمَبْسَمها واضحٌ نَيِّرٌ
وفي خَدها ضوءُ نارٍ يَقِدْ[(٢)]

وأحسنُ منها على حسنها
تقاضي الفتى نفسه ما وعد[(٣)]

(١) الظبية: يريد بها الفتاة الحسناء، والجَرَد: الفضاء الذي لا نبت فيه، يريد أنها بارزة ظاهرة، ومقرطقة: أي لابسة لباساً أبيض من القُرْطق الذي هو معرب كُرْتَهْ، وانظر «لسان العرب»: قرطق، ونهد الثدي: برز وارتفع عن الصدر وصار له حجم. المصدر السابق: نهد.

(٢) المبسم: الفم، والواضح: السن الذي يبدو عند الضحك. «لسان العرب» وضح.

(٣) «المنتقى من مكارم الأخلاق»: ٥٤.

المبحث الخامس

ما ورد في التزام بعض المعاصرين بالموعد المضروب وعدم الإخلال به

١ ـ الشيخ عبد العزيز بن باز ـ رحمه الله تعالى ـ[١]:

١ ـ كان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ ممن عُرف عنه الحفاظ على الوقت، والدقة في التزام الوعد، مع أنه كان كفيفاً لا يحمل ساعة تضبط له وقته لكنّه لفرط حرصه على الوقت ودقته في المواعيد يحس باقتراب الموعد أو حلوله دون أن يخبره بذلك أحد، فتجده إذا حان وقت الصلاة قال لمن بجواره: هل أذن للصلاة؟ فما يكاد يسأل هذا السؤال إلّا ويسمع صوت الأذان.

وكان في أكثر الأحيان هو الذي يُذَكِّر المكلف بحفظ مواعيده باقتراب الموعد. وهذا يدلّ على حرصه الشديد على القيام بما يجب عليه في وقته، وبأنَّه يحمل همَّ ما يريد القيام به، وأنه يخشى أن يتصف بخلق من إذا وعد أخلف.

(١) كتب هذا وما جاء بعده عن الشيخ ابن عثيمين ـ فضيلة الشيخ أحمد بن عبد العزيز الحمدان ـ وفقه الله تعالى ـ ولقد أبقيت عباراته كما كتبها ـ حفظه الله ـ.

٢ ـ ومما يُعرف عن الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ أنَّه منذ أن عُيِّن في القضاء إلى وفاته قد أمضى في العمل الحكومي أكثر من ستين سنة، ومع ذلك لم يتمتع بإجازة يوم واحد، وكان همُّه الذي يُكثر من ترديده على لسانه: إن توقفنا عن العمل تعطلت مصالح النَّاس!.

وقد رأيت بيان إجازاته منذ أن عُين في القضاء إلى وفاته، فوجدته فارغاً ليس فيه إجازة، ومع هذا لم يكن يجد لنفسه ـ في هذا ـ مبرراً أن يتأخر عن موعد من مواعيده الرسمية أو غيرها.

وأذكر أنَّ بعض المعاملات كانت تأتي مختومة من مكتبه يوم عيد الفطر المبارك، مع ما هو فيه من استقبال للوفود المهنئة، وغير ذلك من التزامات أسرية وغيرها.

وقبل وفاته ـ رحمه الله تعالى ـ بأسبوع سافرت إلى الطائف للسلام عليه، وكان المرض قد أخذ منه مأخذه، وظهرت على محياه ـ الذي قرع أبواب التسعين ـ علامات الإعياء، ولكنَّه يتماسك ويتجلد ولا يشتكي لأحد، ومع كل هذا كان ـ رحمه الله تعالى ـ لا يغير برنامجه، ولا يخلف مواعيده، ولا يغير شيئاً من عاداته في استقبال ضيوفه، والتباسط معهم، والاستماع إلى أسئلتهم واستشاراتهم وطلباتهم، والهاتفان لا يتوقفان عن الرنين، فيجيب هذا، ويطلب من الآخر أن ينتظر، والمستشارون عن يمينه وشماله، يدخل اثنان ويخرج اثنان، وفي أيديهم أضابير المعاملات المختلفة.

وأذكر أنَّ من المعاملات التي عرضت عليه: رسالة من رجل، يظهر منها أنَّه مصاب بنوع خلل يجعله يرى نفسه عظيماً، وأنَّه يستطيع أن يصلح ما أفسده المفسدون، ويتهم بعض الجهات والأفراد، ومع ذلك

يستمع الشيخ إلى رسالته كاملة ثم يسأل الله له الشفاء، ويرد عليه بأدب جم ويوجهه إلى طلب العلم.

وقرئت عليه رسالة بشأن القنوت للمجاهدين في الشيشان، فيملي برقية عاجلة جدّاً في موضوعه، ورسالة فيها طلب المساعدة لإنشاء مسجد، فيأمر لجنة للتحري في صدق الطلب.

وجاء زائر من إحدى دول الخليج العربي، فاستقبله، وأخذ يسأله عن بعض المسؤولين وطلاب العلم، وعن بعض المشروعات القائمة هناك، وكأن الشيخ متخصص في لجنة إغاثية ودعوية ومسؤولة هناك.

وفي أثناء العمل الذي نسينا فيه الوقت إذا بالشيخ يقول لأحد مستشاريه: كم هي الساعة الآن؟ فأجابه: الثانية والنصف إلَّا دقيقتين. فمكث الشيخ مكانه وأجاب على اتصال هاتفي، ثم ـ وفي تمام الساعة الثانية والنصف ـ نهض من كرسيه ولبس عباءته وودع أهل المجلس وانصرف.

٢ ـ فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ:

١ ـ كان الشيخ ـ رحمه الله ـ دقيقاً في مواعيده، ولم يكن يجامل أحداً في ذلك، بل كان يؤنب من يخلف الميعاد، ويُحمِّله نتائج إخلافه الوعد، وكلما وجد فرصة يذكره بها بإخلافه الوعد يفعل.

٢ ـ وكان يحرص على شراء أدق الساعات ضبطاً للوقت، ويحملها معه إلى كل مكان يذهب إليه، وإذا اختلفنا في الوقت كان الفيصل في ضبطه ساعة الشيخ، فقد كان يتأكد منها عن طريق المذياع حال سماعه نشرات الأخبار.

٣ ـ وأذكر أنه كان لنا موعد معه في درسه الذي كان يلقيه عن طريق

الهاتف، وكان موعد الدرس في تمام الساعة التاسعة والنصف مساء، بعد أن يعود من مسجده، فاتصلت به قبل الوقت بخمس دقائق تحسباً بسبب سوء خطوط الهاتف في فصل الشتاء، وقدّر الله تعالى أن يتم الاتصال بسهولة، وأجاب الشيخ قائلاً: كم هي الساعة الآن؟ قلت: ونصف إلا خمس دقائق. قال: والموعد في أي ساعة هو؟ قلت: التاسعة والنصف. قال: اتصل بعد خمس دقائق، وأغلق السماعة.

٤ ـ واتصلت به مرة متأخراً بسبب سوء خطوط الهاتف، فقال لي: تأخرتم ثلاث عشرة دقيقة، قلت: يا شيخ خطوط الهاتف كانت السبب، فقال: تحسم عليكم ثلاث عشرة دقيقة من آخر الدرس، وفعل ذلك.

٥ ـ ولم تكن هذه الدقة في المواعيد تمنعه من مراعاة بعض الأمور العارضة، ولكنه يشتدُّ على طلاب العلم، يريد أن يعلمهم أهمية ضبط المواعيد، فقد انتهى وقت درسه الذي كان يلقيه عن طريق الهاتف، فقال: انتهى الوقت، فقلت: يا شيخ، هذا سائل جاء من قرية يريد أن يسأل، فقال: لا بأس، هات السؤال.

٦ ـ وكان له درس على الهاتف إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وأعطاهم رقم الهاتف الذي سيكون عليه في جدة، ولكنهم لم يتصلوا، فمكث الشيخ في ذلك المكان، وتأخر الوقت حتى قلنا له: ما نظنهم يتصلون بعد الآن، فقال: هو وقتهم، وعدناهم أن نفرغ أنفسنا لهم فيه، فمن حقهم علينا أن ننتظر إلى نهاية الوقت، فاغتنمت الفرصة لقراءة فصل من كتابي «الأدلة المطمئنة»[1] على الشيخ إلى أن انتهى وقت الدرس، ولم يتصل أحد، فقام الشيخ وانصرف.

---

(١) وهو كتاب في حجاب المرأة مطبوع.

٧ ـ وكان لا يرضى أن يخلف موعده مع الطلاب الذين يأتون لطلب العلم عنده، ولا يرتبط بموعد يخالف مواعيدهم مهما كان ذلك الذي يطلب منه الموعد، ويعتذر قائلاً: هؤلاء أولى، لأننا أعطيناهم موعداً أن نبدأ الدروس معهم في تاريخ كذا، فما يمكننا إخلاف الوعد.

ومن المواقف التي تدل على الحرص على الموعد والالتزام به موقف لطيف للشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ قصة أحد الأشخاص قائلاً:

«عندما وصلنا للسكن دخل الشيخ لينام، وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف لمقابلة وفد قدم من إحدى الدول الإسلامية، وبالفعل لم تقترب عقارب الساعة من الساعة التاسعة والربع حتى وصل الوفد، وأخبرتهم أن الشيخ نائم وطلب مني إيقاظه الساعة التاسعة والنصف، واقترحت عليهم لو انتظروا ساعة أخرى حتى يستريح الشيخ فوافقوني بلا تردد، وما أن تجاوزت عقارب الساعة التاسعة والنصف بقليل حتى وجدت الشيخ استيقظ من تلقاء نفسه، وسألني عن الوفد فأخبرته أنهم وصلوا، وأعلمته بما قلت لهم: فعاتبني وقال: سامحك الله، كان عليّ أن أكون في استقبالهم»[1].

ومن العقوبات المعنوية المناسبة ما أخبر به أحد طلبة الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ وهو الدكتور عبد الله الطيار قائلاً:

«الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ دعاني للغداء سنة ١٤٠٣، وكانت الدعوة خاصة لي، فقال ـ رحمه الله تعالى ـ: «هل تريد أن تحضر معك أحداً؟» فقلت: وكيل الكلية فقط، فقال الشيخ ـ رحمه الله

---

(١) «العقد الثمين»: ٩٨.

تعالى ـ: «إذن يحسن حضور عميد كلية الشريعة ووكيله»، وقال لي الشيخ: «الحضور الساعة الثانية ظهراً»؛ لأني قلت له إن دوامنا يستمر إلى الواحدة والنصف.

وقال لي: «انتبه لا تتأخر عن الموعد» فقلت له: إن شاء الله.

ثم خرجت من مكتبي الساعة الواحدة والربع، وذهبت لمكتب فضيلة عميد كلية الشريعة وألححت عليه بالذهاب للشيخ وعدم التأخر، وكانت معه معاملات كثيرة، فلم يخرج من مكتبه إلا الساعة الثانية إلا ثلثاً، وكانت الجامعة شرق بريدة، وأمامنا مسافة تحتاج إلى نصف ساعة على الأقل، وانطلقنا إلى بيت شيخنا ووصلنا الساعة الثانية وعشرة دقائق، فلما وصلنا تفاجأنا بأن الشيخ راكب سيارته، فنزلت وقلت له: أين تذهب يا شيخ؟ فقال: «الأولاد بالداخل عندكم، تغدوا معهم»، فقلت: ما جئنا من أجل الغداء، جئنا لنجلس معك، ووالله إن ذهبت لن ندخل، فضحك الشيخ وقال: «لا بأس بشرط ألا تتأخر مرة أخرى»، فقلت: إن شاء الله، ولكن السبب كذا وكذا، فأعطانا الشيخ درساً عمليّاً في دقة المواعيد والاهتمام بها والحرص عليها»[١].

٣ ـ العلامة أحمد تيمور باشا ـ رحمه الله تعالى ـ[٢]:

يقول عنه الأستاذ محمد كرد علي:

---

(١) «العقد الثمين»: ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٢) الأستاذ العالم المؤرخ الأديب. ولد سنة ١٢٨٨، وتلقى التعليم الابتدائي في مدرسة فرنسية، وأخذ عن بعض مشايخ عصره فنون العربية والعلوم الدينية، وكان ثريّاً موسراً، جمع مكتبة ضخمة نادرة، وكان كثير التردد إلى الشيخ محمد عبده وإلى الشيخ رشيد رضا، وله عدة مصنفات جيدة تنم عن اطلاع واسع، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ١٣٤٨، انظر «حياة العلامة أحمد تيمور باشا»: ٥٣. وما بعدها.

«من الأخلاق الضائعة في الشرق إلا بين طبقة خاصة من الناس خصلة القيام على الوعد وصيانته من الإخلاف، وكان الفقيد يرعى هذه الخصلة حق رعايتها، فإذا قطع وعداً في أمر جليل أو حقير وجد في نفسه مذكراً فطرياً حتى يكون الوعد ناجزاً، ولطول ما صحبناه على هذا الخلق الحازم لم نَرْتب فيما إذا عين وقتاً للقاء أن يكون عند الوقت حاضراً»[١].

من قصص المعاصرين:

كان لبعض المعاصرين وقائع وقصص معبرة في هذا الباب عن معاناة طويلة، وتجربة مريرة، فمن ذلك:

١ ـ اللواء الركن محمود شيت خطاب[٢] حيث قال ـ رحمه الله تعالى ـ:

«استلمت بطاقة دعوة من الدعوات، وكان موعد الدعوة الساعة الثانية بعد الظهر، فحضرت في الموعد المعين، ولكن صاحب الدعوة لم يكن في داره.

وجلست وحدي في غرفة الاستقبال، وكانت غرفة داخلية، وكان بهو الدار يعج بالنساء الغاديات الرائحات، يعددن مواعين المائدة، ويحضرن أطباق الطعام.

وانتظرت ساعة كاملة، فعزمت على الهرب من الدار، ولكنني خجلت من النساء اللواتي يقطعن عليَّ طريق الانسحاب.

(١) المصدر السابق: ٧٠.

(٢) أحد القادة العسكريين العراقيين، وله دراسات عسكرية إسلامية مهمة نشرها في عدة كتب، توفي في سنة ١٤٢١، رحمه الله تعالى.

وفي الساعة الرابعة والنصف بعد الظهر، قدم صاحب الدعوة يتهادى ومعه قسم من الضيوف.

وجلست على المائدة مع الجالسين وقد سد الانتظار الطويل شهيتي، فقلت لصاحب الدعوة: إن الله مدح نبيّاً في القرآن فقال: إنه كان صادق الوعد، فلماذا تستهتر هكذا بالمواعيد؟!

وتطوع شيخ من الحاضرين، مجيباً على تساؤلي، مدافعاً عن صاحب الدعوة، قائلاً عنه: «إنه صادق الوعد، ولو كان كاذبه لما حضر إلى داره ولا امتد الغداء».

لقد تأخر صاحب الدعوة ساعتين ونصف الساعة عن موعده، ومع ذلك وجد من يسوغ تأخره ويختلق له المعاذير.

ولو أحداً غير الشيخ أفتى بما أفتى لهان الأمر وتبخر العجب، أما أن تصدر الفتوى من شيخ يورط الناس بوعظه، ويحثهم على صدق الوعد، ثم يكون نموذجاً في التسيب في ضبط المواعيد فأمرٌ يدعو إلى الأسف الشديد.

والمفروض أن يكون المسلم الحق مثالاً عالياً ونموذجاً رفيعاً في دقة المواعيد؛ لأن الالتزام بها من أخلاق القرآن الكريم، وهو واجب على المسلم الحق، يتمسك به ولا يحيد عنه..»[١].

٢ ـ الأديب الأستاذ علي الطنطاوي[٢] ـ رحمه الله تعالى ـ حيث قال:

«ركبت مرة الطائرة من مطار ألماظة في مصر فتأخرت عن القيام نصف ساعة انتظارَ راكب موصىً به من أحد أصحاب المعالي.

ولما ثرنا معشر الركاب وصخبنا طار بنا، فلم يَسر ـ والله ـ ربع ساعة حتى عاد فهبط، فارتعنا وفزعنا وحسبنا أن قد جرى شيء، وإذا العودة من أجل الراكب المدلل صديق صاحب المعالي، وقد تأخر لأنه لم يحب أن يسافر قبل أن يدخل الحمَّام، ويستريح بعد الخروج كي لا يلفحه (اسم الله عليه) الهواء البارد، وكنت يومئذ عائداً من رحلة رسمية، فلما وصلت إلى مطار المزَة في دمشق وجدت أكثر من مئتي إنسان بينهم مندوب وزير العدل، ينتظرون قدومي في الشمس منذ ساعة كاملة.

والسيارات مثل الطيارات، والدكاكين والدواوين، والمقاهي والملاهي، كل ذلك يقوم على تبديل المواعيد وإخلافها، حتى لم يبق لشيء موعد معروف، فيا أيها القراء خبروني ـ سألتكم بالله ـ: أي طبقة من الناس تفي بالموعد، وتحرص عليه وتصدق فيه، تدقق في إنجازه؟ الموظفون؟ المشايخ؟ الأطباء؟ المحامون؟ الخياطون والحذاؤون؟ سائقو السيارات؟ من؟ من أيها القراء؟.

ويكون لك موعد مع الشيخ، فيجيئك بعد نصف ساعة، ويعتذر لك، فيكون لاعتذاره متن وشرح وحاشية، فيضيع عليك في محاضرة الاعتذار نصف ساعة أخرى، وإن دعوته الساعة الثانية جاء في الثالثة، وإن كان مدرساً لم يأت درسه إلا متأخراً.

والطبيب يعلن أن العيادة في الساعة الثامنة ولا يخرج من داره إلى العاشرة، وتجيئه في الموعد فتجده قد وعد خمسة من المرضى مثل

موعدك، واختلى بضيف يحدثه حديث السياسة والجو والكلام الفارغ، وتركهم على مثل الجمر، أو على رؤوس الإبر، ينتظرون فرج الله، حتى يملوا فيلعنوا الساعة التي وقفوا بها على باب الطبيب، ويذهبون يفضلون آلام المرض على آلام الانتظار، ويؤثرون الموت العاجل المفاجئ على هذا الموت البطيء المضني.

أما الخياطون والخطاطون، والحذّاؤون والبنّاؤون، وأرباب السيارات، وعامة أصحاب الصناعات، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنهم من أكذب خلق الله، وأخلفهم للوعد. الكذب لهم دين، والحلف عادة، ولطالما لقيت منهم، ولقوا مني، وما خِطْتُ قميصاً ولا حُلَّة، ولا صنعت حذاء، ولا سافرت في سيارة عامة سفرة، ولا بعثت ثوباً إلى مصبغة لكيّه أو غسله أو تنظيفه، إلا كووا أعصابي بفعلهم، وشويتهم بلساني، وإن كان أكثرهم لا يبالي ولو هجاه الحُطَيْئة أو جرير أو دِعْبِل الخزاعيُّ[١]، بل إنهم ليفخرون بهذه البراعة في إخلاف المواعيد، والتلاعب بالناس، ويعدونها مهارة وحذقاً.

فمتى يجيء اليوم الذي نتكلم فيه كلام الشرف، ونعد وعد الصدق، وتقوم حياتنا فيه على التواصي بالحق، لا يعد فيه المرشح وعداً إلا وفَّى به بعد أن يبلغ مقاعد البرلمان، ولا يقول الموظف لصاحب الحاجة إني سأقضيها لك إلا إذا كان عازماً على قضائها، ولا الصانع

(١) هؤلاء شعراء مشهورون، أما الحُطيئة فهو: جرول بن أوس الذي أدرك الجاهلية والإسلام. وكان هجاءً عنيفاً، توفي سنة ٤٥ تقريباً كما في «الأعلام» ٢/ ١١٨، وأما جرير فهو: جرير بن عطية الخطفي التميمي، توفي سنة ١١٠ كما في المصدر السابق ٢/ ١١١، وكان أشعر أهل عصره، وأما دِعْبل فهو: دعبل بن علي الخزاعي، شاعر هجاء بذيء اللسان، توفي سنة ٢٤٦ كما في المصدر السابق ٢/ ٣٣٩.

بإنجاز العمل إلا إذا كان قادراً على إنجازه، والموظفون يأتون من أول وقت الدوام ويذهبون من آخره، والأطباء لا يفارقون المكان ساعات العيادة، والخياط لا يتعهد بخياطة عشرة أثواب إن كان لا يستطيع أن يخيط إلا تسعاً، وتُمحى من قاموسنا هذه الأكاذيب. تقول لأجير الحلاق: أين معلمك؟ فيقول: إنه هنا، سيحضر بعد دقيقة، ويكون نائماً في الدار لا يحضر إلا بعد ساعتين.

متى تقوم حياتنا على ضبط المواعيد وتحديدها تحديداً صادقاً دقيقاً، فلا يتأخر موعد افتتاح المدارس من يوم إلى يوم ويتكرر ذلك كل سنة، ولا يرجأ موعد اجتماع الدول العربية في الجامعة من شهر إلى شهر، ولا تعاد في تاريخنا مأساة فلسطين التي لم يكن سببها إلا إهمال ضبط المواعيد وإخلافها. ولو أننا حددنا بالضبط موعد القتال، وموعد الهدنة، وجئنا (أعني الدول العربية) على موعد واتفاق لكان لنا في تاريخ فلسطين صفحة غير التي سيقرؤها الناس غداً عنا.

إن إخلاف الموعد الصغير، هو الذي جرَّ إلى إخلاف هذا الموعد الكبير، فلنأخذ مما كان درساً؛ فإن المصيبة إذا أفادت كانت نعمة. ومتى صلحت أخلاقنا، وعاد لجوهرنا العربي صفاؤه وطهره، وغسلت عنه الأدران، استعدنا فلسطين، وأعدنا ملك الجدود. فابدؤوا بإصلاح الأخلاق، فإنها أول الطريق»[١].

وهذه امرأة تحكي معاناتها فتقول:

«بالأمس واعدتني صديقة لي في أمر مستعجل وضروري على حد تعبيرها، تهيأت للأمر المهم ورحت أنظر في البيت حيث يذوب الوقت

(١) «مع الناس»: ٧٤ ـ ٧٥.

بطيئاً بطيئاً، وأخيراً جاءت بعد أن تخلفت ما يقارب الثلاث ساعات!!! حينما وصلت أحسست بأن الشوق لمعرفة المجهول.. لماذا تأخرت؟

أجابت بكل عفوية وبساطة: سامحيني غصباً عني، وأردفت: ثم ماذا، كل ما في الأمر أنك انتظرتيني في البيت!!!»(١).

(١) مجلة «عفاف»: ٥١، وقد نقلت القصة على ركاكة ألفاظها؛ لأنها معبرة، ولأنها من القسم النسائي.

المبحث السادس

أسباب التهاون بالمواعيد

هناك جملة من الأسباب التي قد تؤدي ـ مجتمعة أو منفردة ـ إلى الإخلال بالمواعيد والتخلف عنها والتهاون بها، وبعض هذه الأسباب أخطر من بعض؛ لكنها كلها مؤشر على خلل في الشخصية لا بد أن يتداركه المرء، فمن تلك الأسباب:

أولاً: ضعف الالتزام بالأحكام الشرعية:

وذلك لأن الموعد المضروب المتفق عليه لا يصح شرعاً أن يُتأخر عنه إلا بعذر شرعي؛ وذلك لأن النبي ﷺ عد من علامات النفاق العملي إخلاف الموعد، حيث قال ﷺ:

«**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان**»[(١)].

والأدهى والأمر من ذلك أن بعض الناس ـ وظاهرهم الالتزام ـ إن ذكَّرته بالموعد وعد بالحضور وهو قد أزمع الخُلف، بمعنى أنه يقول لك: سأحضر في الموعد وهو قد بيت النية ألَّا يحضر، فهل هذا

(١) أخرجه الإمام البخاري، وسبق تخريجه، ولقد سبق الحديث في المبحث الثاني عن قضية الوفاء بالوعد من الناحية الشرعية.

إلا كذب صُراح يا عباد الله؟!! وهل فاعل ذلك يمكن أن يبرأ من عهدة الكذب؟! إذ كيف يعقد أمراً هو يعلم أنه لن يفي به ابتداءً، لكنه يصنع ذلك تخلصاً من مخاطبه وتفلتاً من الحرج المترتب على الاعتذار.

ثانياً: عدم إدراك أن الموعد المضروب المتفق عليه لا يجوز الإخلال به إلا بعذر:

وهذا قد يكون عند بعض الناس عذراً قائماً يعتذرون به، إذ يظنون أنه لا شيء في إخلاف الموعد ولا بأس فيه، فهؤلاء ينبغي أن يُعلَّموا ويبين لهم حتى يزول جهلهم وينتفي عذرهم، ويحسن بهم أن يُطْلعوا على ما ذكرته من الآثار فيما سبق.

ثالثاً: عدم المبالاة:

وهذه صفة قائمة في بعض النفوس، حيث صار أصحابها لا يبالون بأمور كثيرة، ولا يرون أهميتها، ومن جملة تلك الأمور قضية الالتزام بالموعد، ولأن عدم المبالاة صارت صفة متأصلة في نفوس أولئك فإنك تراهم لا يأبهون ولا يبالون أحضروا في الوقت أم لم يحضروا، أو أنك تراهم يتخلفون عن الحضور تماماً ثم لا يتكلف الواحد منهم مشقة الاعتذار ولو مهاتفة!! وهذا الصنف لا يعتمد عليه ولا ينبغي أن يعتمد عليه في شيء ذي بال فإنه ضائع مضياع، لم يُربَّ التربية الإيمانية الجادة القوية.

قال الأستاذ محمود شيت خطاب ـ رحمه الله تعالى ـ:

«طالما اتصل بي شخص من الأشخاص واتفق معي على موعد من المواعيد، فأنتظر الساعات الطويلة مضيعاً وقتي مربكاً عملي، ثم

لا يحضر ولا يعتذر عن الحضور[1]، وبعد أن ينفد صبري ويضيق صدري أتصل به هاتفيّاً فإذا به قد نسي الوعد أو لم يكترث بصدقه لأسباب تافهة، فأقول له: ألا تملك هاتفاً؛ لماذا لم تعتذر؟ فيجيب بغير اهتمام أو شعور بالمسؤولية: ما حصل حاجة!! كيف لم تحصل حاجة، إنني لا أستطيع أن أفهم»[2].

مثل هذه الحكاية تدل على نفسية خالية من تقدير المسؤولية، وتملك قدراً كبيراً من عدم المبالاة وعدم الاكتراث بشعور الناس.

رابعاً: عدم الالتفات إلى الدقائق أو إلى أجزاء الساعة:

وهذا في الحقيقة جزء من السبب السابق ـ عدم المبالاة ـ إذ تجد الشخص لا يعد الدقائق أو أجزاء الساعة شيئاً، فالموعد المضروب في الساعة السابعة والنصف لا يرى شيئاً في تأخيره إلى الثامنة، والموعد المضروب في الساعة السابعة والربع يؤخره إلى السابعة والنصف أو الثامنة أيضاً وهكذا، وكل ذلك نابع من عدم مبالاته، والعجيب أنه لو دُعي إلى مقابلة وزير أو رئيس في ساعة محددة لقدم قبل وقته بنصف ساعة أو ساعة احتياطاً وإظهاراً للدقة!! وهذا الأمر فيه ما فيه.

خامساً: عدم تقدير أهمية ما يراد الحضور إليه:

هناك من الناس من يتخلف عن الحضور إلى المواعيد المضروبة؛ لأنه لا يرى أهمية لحضوره، أو يراه في أحسن الأحوال مرجوحاً في حقه، فهذا لا عذر له على الحقيقة؛ وذلك لأنه كان ينبغي له الاعتذار

---

(١) هكذا، وهو خطأ شائع، والصحيح: ولا يعتذر عن عدم الحضور.

(٢) مجلة «لواء الإسلام»: ١٧.

المبكر عن عدم الحضور لئلا ينتظره من يتوقع حضوره، لكن بعض الناس يخجل من الاعتذار، أو يخاف إن اعتذر ألا يُقبل عذره، أو يُساء الظن به، أو غير ذلك من الأسباب التي هي ليست في الحقيقة أسباباً وجيهة يقدم بها بين يدي غيابه.

سادساً: عدم مراعاة الأولويات:

إذ إن بعض الناس يتخلف عن الموعد لأسباب عجيبة، منها على سبيل المثال:

أ ـ تأخرت بسبب أني كنت مع زوجتي في السوق.

ب ـ تأخرت لأن زوجتي أصرت أن أوصلها إلى بيت أهلها أو صويحباتها.

جـ ـ تأخرت لأن عندي موعداً آخر، ولا أدري كيف يسوغ له أن يضرب موعدين في وقت واحد أو متقارب هو أول من يعلم أنه لن يفي بالآخر منهما أو يتأخر عنه تأخراً هو أشبه بعدم الوفاء.

د ـ تأخرت لأن ضيوفاً باغتوني حال خروجي، أو تأخروا عندي فلم يخرجوا، وهذا ليس بعذر؛ إذ أيهما أولى: استقبال الضيوف والتأخر عن الموعد، أو الاعتذار لهم والحضور في الموعد؟ لا شك أن الاعتذار أولى، ألم يقل الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨]؟!.

وبعض الناس يقول محتجاً لعمله هذا: إن لم أستقبل الضيوف غضبوا، وأقول: إن الإسلام العظيم علمنا الآداب الاجتماعية التي إن أخذنا بها سعدنا وارتقينا، فالأخذ بهذه الآداب منقبة عظيمة، ومَنْ غضب مِنْ تأدُّب المقابل بهذه الآداب فهو المخطئ والمعتدي،

ولا شيء في إغضاب مثل هذا حتى يستقيم المجتمع على الجادة، أفرأيتم إن استقبل الضيف كلما قدم بدون موعد، ولم يكن ممن قدم من خارج البلد حتى يؤدي إليه حق الضيافة، إن استقبل مثل هذا كلما باغت الآخرين؛ فكيف تُنجز الأعمال؟ وهب أن الضيف نزل ببيتك وأنت متأهب للخروج إلى عمل وظيفي مسائي؛ هل كنت تقبل أن تضيع عملك من أجل هذا الضيف؟! فإن صنعت هل سيقبل منك رب العمل مثل هذا العذر؟! ويمكن ـ حلّاً لهذه المشكلة ـ الجمع قدر الإمكان بين استقبال الضيف والالتزام بالموعد؛ وذلك بأن يستقبل الضيوف الابن الأكبر في المنزل أو الأخ أو غير ذلك من القرابات القريبة، فإن لم يوجد فلا سبيل إلا الاعتذار للضيف حتى لا يتأخر المرء عما سبق الالتزام به من مواعيد.

وقال الأستاذ محمود شيت خطاب ـ رحمه الله تعالى ـ:

«من الأعذار التي أسمعها قدوم زائر على غير ميعاد فلم يستطع الاعتذار إليه أو التخلص منه فألغى موعده مضطراً، وقد صادفت مواقف مشابهة فزارتني شخصيات علمية أو سياسية في القمة علماً وخلقاً واستقامة وشهرة ومكانة اجتماعية، ولكنني اعتذرت ببساطة قائلاً للزائر أو الزائرين: معذرة أنا على موعد مسبق، ولا يمكن الاعتذار أو التأخر، ثم أمضي إلى سبيلي لأصدق الوعد»[1].

وهذا الأستاذ الأديب علي الطنطاوي ـ رحمه الله تعالى ـ يذكر بأسلوبه الممتع عدداً من المواقف الطريفة والقصص اللطيفة في هذا الباب فيقول:

---

(١) مجلة «لواء الإسلام»: ١٧.

«قد أكون على موعد يفوتني بفواته خير عظيم، ولا يبقى بيني وبينه إلا مقدار ما ألبس ثيابي وأمشي إليه، فيجيئني ضيف لا حاجة له عندي، ولا خير له في زيارتي، ولا يبتغي مني إلا أن يدفع الملل عن نفسه بالبقاء ساعتين أو ثلاثاً عندي، فيسقط في يدي وأحار في أمري[١]، إن استقبلته ضيعت موعدي، وإن رددته ضيعت حق الضيافة وتعرضت لسوء الأحدوثة، ثم أختار أهون الشرين فأرحب به وأدعوه، وآمل أن يفهم حقيقة حالي وأعجل له بالقهوة فينصرف، وأجلس بين يديه متململاً متضايقاً، وأتلطف في إفهامه والاعتذار إليه فلا يحفل بي ولا بموعدي، ولا ينظر إلا إلى نفسه ورغبته في قطع الوقت بهذه الزيارة، فيقعد آمناً مطمئناً يحدثني حديث السياسة، ويسألني عن الروس واليابان والصين وتركستان، ويعرض علي رأيه في الأنظمة التي ستعم العالم بعد الحرب، ويفيض ويسهب وأنا أتقلب على النار، ويبقى على ذلك حتى لا يبقى لي منفعة من الذهاب، ولا يمكن تدارك ما فات، فينصرف ليتحدث عني بأني لقيته بجفاء وخشونة، وكلمته باقتضاب وإيجاز، ولم أوفه حقوق الضيافة!!»[٢].

«تفتح عليك[٣] امرأة ملهوفة، وأنت مسرع في الصباح إلى عملك،

---

(١) يقول الأستاذ الطنطاوي هنا معلقاً:
كان ذلك من قديم، ثم صرت لا أستقبل أحداً إلا بموعد، وحسناً صنع ـ رحمه الله تعالى ـ وهذا الذي ينبغي علاجاً لمثل هذه المواقف، أو أن المزور يعتذر اعتذاراً جازماً حاسماً لبقاً لطيفاً عن استقبال الزائر، فلو غضب بعد ذلك فلا يُعدُّ ذلك الغضب إلا من سوء خلقه وجهله بآداب الزيارة، والله أعلم.

(٢) «في سبيل الإصلاح»: ١٢٠.

(٣) أي تهاتفك بالهاتف.

فترجوك أن تدعو لها جارتك فلانة لأمر ضروري، لا يحتمل التأجيل، وقد يكون بينك وبينها خمسون متراً، فإذا أحضرتها وحملت في ذلك المشقة والتأخير، إذا بها تريد أن تسألها عن ثوبها الأحمر، عند أي خياطة خيطته؟ وعن استقبال مديحة (خانم) أو الست ماري في أي يوم من الشهر؟!.

الصديق الفارغ الوقت من العمل، الفارغ الرأس من الفكر، يحب أن يمضي ساعتين من وقته فيفتش في قائمة أصحابه فلا يجد غيرك وتكون صباحاً مستعجلاً إلى عملك، تريد أن تلبس وتأكل وتنظر في حاجات الدار، وإن كنت ممن يعمل بعقله أو كان عندك دعوى يجب أن تدرسها قبل أن تذهب، أو مقالة ينبغي أن تتمها، أو بقية من الأشغال الشاقة ـ أعني تصحيح وظائف التلاميذ ـ وبينما أنت في هذه الغمرة غارقاً في لجتها إلى أذنيك، إذا بالباب يقرع، وإذا أنت بهذا الصديق المحترم يدخل وتضطر أن تقعد أمامه، لا تقعد على الكرسي بل على النار المتوقدة، تنظر في ساعتك وهو لا يبالي ويكون بينكما هذا الحوار:

ـ «أي وشلون الصحة؟».

ـ «الحمد لله».

ـ «والله الجوّ اليوم طيب».

ـ «طيب الحمد الله».

ـ «سمعت أن ملك مَرّاكُش ألقى خطبة العرش، إنها أخبار طيبة».

ـ «نعم أخبار طيبة».

ـ «هل قرأت قصيدة الصافي النجفيّ[١] في وصف الطاووس؟».

فتتململ وتتحرك في مقعدك، وتقوم وتقعد، فتدركه نوبة من اللطف المفاجئ، فيقول لك بعد أن تمضي عليه ساعة وربع في هذا العَلْك:

«شوف أخي، أنا لست غريباً، خذ حريتك، لا تهتم بي، بس أعطني كتاباً أقرأ فيه واشتغل شغلك!»[٢].

«والذي يفيق من الصبح يظن أن الناس كلهم مثله، فيطرق عليّ الباب من الساعة السادسة فأقوم من الفراش مذعوراً، وإذا بالزائر من لطفه يقول: «ما بدي أعطلك بننزل سوا» كأن الإنسان يقفز عادة من سريره إلى باب الزقاق، لا يدري ـ حفظه الله ـ أنه يعمل أشياء، ويغسل، ويأكل، ويلبس، فأضطر أن أدع هذا كله، وأن أقعد لأونسه وأسليه وأسمع ثرثرته»[٣].

هـ ـ تأخرت بسبب عدم وجود سيارتي:

وهذا عجيب، وكأنه ليس في الدنيا سبيل للتنقل إلا بسيارته، ألا يوجد من سيارات الأجرة أو الحافلات ما يمكن به الوصول إلى المكان في الموعد المضروب؟! وماذا يفعل أهل المناطق الفقيرة التي لا يملكون فيها وسائل مواصلات؟!. ومثل هذا قد لا يحضر أصلاً بسبب عدم وجود سيارته، وقد هاتفت مرة واحداً من أولئك لتأخره عن

---

(١) لم أقف له على ترجمة، وأقرب من وجدت اثنان هما عباس بن علي النجفي المتوفى سنة ١٢٧٦. ورضا بن محمد حسين النجفي المتوفى سنة ١٣٦٢، وكلاهما شاعر، انظر «الأعلام»: ٨/ ١٠.

(٢) «مع الناس»: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٣) المرجع السابق: ٦٦.

موعد، فقال: ليس عندي سيارة، فقلت له استأجر سيارة وتعال، فاستثقل هذا استثقالاً ظهر من حديثه، بعد ذلك، ولا أدري ما سبب هذا الاستثقال، أهو الترف الذي يأنف معه أن يركب سيارة مؤجَّرة؟! أم هو ظنه بأنه قد اعتذر عذراً مناسباً يعفيه من الحضور؟! أم غير ذلك من الأسباب الواهية؟.

و ـ تأخرت بسبب موعد آخر:

وهذا لا ينبغي لأنه على المرء ألا يرتبط بأكثر من موعد بحيث لا يستطيع أن يفي بما التزم به، ولا ينبغي للمرء أن يفي بموعد ويخل بآخر، بل يلتزم بما يستطيع أن يأتي به على وجه مُرْضٍ، وقد قالت العرب قديماً: «أمران لا يسلمان من الكذب كثرة المواعيد، وشدة الاعتذار»[١].

ز ـ تأخرت بسبب الازدحام:

وهذا عذر غير مقبول؛ إذ الازدحام سمة العصر، فلو احتج به كل أحد لتعطلت الأعمال وارتبكت المواعيد، قال الأستاذ محمود شيت خطاب ـ رحمه الله تعالى ـ:

«من الأعذار التي أسمعها ازدحام المواصلات، والمفروض أن يحسب الذي يحرص على وعده حساب المواصلات، ويكون له وقت مناسب ليصل إلى مكان موعده»[٢].

ح ـ تأخرت بسبب أحد الأشخاص الذين قابلتهم في الطريق:

---

(١) «التذكرة الحمدونية»: ٨/ ١٦٠.

(٢) مجلة «لواء الإسلام»: ١٧.

وهذا عذر غير مقبول، إذ يجب الاعتذار عن عدم الوقوف معه والحديث إليه، فالذين ينتظرون أحق من هذا الذي قابلته عرضاً في الطريق.

وهذا الشيخ الطنطاوي يتحدث بأسلوبه الساخر الممتع عن أحد الذين يضيعون مواعيد الناس وأوقاتهم فيقول:

«الذي يقفك في الطريق وأنت مستعجل تسير إلى موعد ضروري، إلى درس في الجامعة، أو محاكمة، أو دعوة، أو اجتماع.

فيقول لك: يا أستاذ، يا أستاذ.

فتتلفت، فيسلم هاشاً باشاً كأنه صاحبك من عشرين سنة وكأنه يهم بتقبيلك، وتقف أنت جامداً لأنك لا تعرفه، ولم ترَ طلعته البهية قبل اليوم.

فيقول لك معاتباً: شو ما عرفتني؟

فتقول: لا.

فيقول: الله! احزر يا أستاذ، تذكر.

وبعد أن يسائلك دقائق يأخذ هيئة الجد ويقول:

أحب أن أعرض عليك مسألة آخذ رأيك فيها، أنا تزوجت كما تعلم بنت فلان وكان المهر.. ويمضي يسرد قصة تستغرق نصف ساعة، يضيع فيها الدرس، والمحاكمة، والدعوة، والاجتماع»[(١)].

وقال في مكان آخر: «وأكون ماشياً في الطريق مستعجلاً مسرعاً إلى موعد لا بدّ منه، وقد قدرت أن أصل على الدقيقة، فيطلع عليَّ غليظ

(١) «مع الناس»: ١٠٤.

كأنه مارد انشقت عنه الأرض، ويمد إليَّ ليصافحني يداً كمِجْرفة الخباز التي يجرف بها الخبز من بيت النار، ويمضي ليحدثني حديثاً لا ينفعني ولا ينفعه، وإنما هو كلام فارغ امتلأت به نفسه، فلم يجد أحمق يصبه في أذنه لينفِّس عن نفسه إلا أنا.

أو يناديني من بعد ثلاثين متراً: (أستاذ)، فأتصامم وأسرع كأني ما سمعت، فيصرخ: (يا أستاذ طنطاوي) ويتطوع ثلاثة على الأقل من المارين والواقفين فيعاونونه علي وينادون: يا أستاذ طنطاوي، فيصير الأستاذ الطنطاوي لا علماً في رأسه نار بل شعلة مدخنة على عصا لها صوت، فهي تشغل السمع والبصر والشم، والحمد لله على الشهرة، وأقف أنتظر هذا الرجل الذي يناديني كأن له عليَّ ديناً حان سداده، أو كأني مجرم فار وهو شرطي أمين، أو كأن عنده بشارة لي بأن قريباً لي لا أعرفه من أسلافي في طنطا مات وأورثني عشرة آلاف جنيه، ويصل فيقول: يا أستاذ، وينك[١]، والله مشتاق إليك، كيفك، كيف حالك؟ فماذا يا ناس أعمل له؟ أضربه..؟ أتركه وأمشي؟ أخشى أن يقول الناس غير مهذب فأضطر إلى محاسنته وملاطفته، وأن أدعه يقول لي: مشتاق، وأقول: أنا بالأكثر، وكلانا كاذب!»[٢].

وقال ـ رحمه الله تعالى ـ متحدثاً عن موقف آخر:

«كنت ذاهباً إلى المدرسة ذات مرة، وكان علي محاضرة لم يبق دون موعدها إلا مسافة الطريق، وكنت مسرعاً لا أكاد أبصر طريقي، فاعترضني رجل كبير، كان ناظر المدرسة الثانوية التي كنت فيها؛ وله

---

(١) أصل وينك: أينك ثم قلبت الهمزة واواً.
(٢) «مع الناس»: ٦٥ ـ ٦٦.

في البلد حرمة ومقام، فأقبلت عليه أحييه، وأفهمته برفق أن عليَّ محاضرة قد حان موعدها، فقال: طيب، لحظة، وانطلق يتكلم، فلا والله ما سكت إلا بعد ما مضت نصف ساعة ألقى هو فيها المحاضرة علي، وأنا أتململ وأتحرك ويَربَدُّ وجهي[١]، وأحس النار تشتعل في عروقي، فلما انتهى قال: أظن أننا وقفناك، عدم المؤاخذة!!»[٢].

سابعاً: عدم اتخاذ الوسائل المناسبة للتذكير بالموعد:

إذ إن بعض الناس يريد الحضور في الموعد الذي التزمه، ويأنف من التخلف عنه أنفة تامة، لكنه لم يتخذ من الوسائل ما يكفل له ذلك؛ خاصة إن كان الموعد المضروب بعد أسابيع أو شهور، فهذا يحسن به أن يتخذ مذكرة أو مفكرة ينظر فيها كل يوم ليتذكر بها مواعيده، أو إن كان قد اتخذ مساعداً في عمله[٣] فليذكره المساعد بما التزمه من المواعيد، أو يتفق مع آخرين يحضرون معه موعده أن يذكروه وينبهوه، وكل تلك الوسائل ناجعة في تحقيق الالتزام المطلوب خاصة لمن كان مصاباً بمرض النسيان.

ثامناً: عدم الحزم في تناول المشكلة:

وذلك أن كثيراً ممن يتضرر بتأخر غيره يمنعه الحياء أو التوقير والاحترام من إبداء اعتراضه أو تذمره أو استيائه من هذا التأخر، وتراه يرحب بالقادم ويبش له طاوياً امتعاضه وتذمره عنه، وهذا يعد نوعاً من

---

(١) أربَدَّ وجهه: تغير من الغضب: «لسان العرب»: رب د.

(٢) «في سبيل الإصلاح»: ١١٠.

(٣) وهو ما يسمى بالسكرتير.

التقصير في علاج المشكلة؛ إذ ينبغي أن يصاحب الالتزام بأدب الضيافة وحسن الاستقبال نوعٌ من التساؤل عن سبب التأخر عن الموعد بلباقة وحسن تصرف، وينبغي أن يكون هذا أمام الآخرين حتى لا يقتدوا بهذا المتأخر في صنيعه.

فلو أن كل شيخ حلقة، أو صاحب دعوة، أو قائماً بأمر ما دعا إليه الناس والتزموا بحضوره كان حازماً في حفاظه على الموعد ومطالبة الآخرين بالمحافظة عليه، وعُرف ذلك عنه، لخشي المدعوون من التهاون بالموعد أو التخلف عنه والتفريط به.

تاسعاً: البيئة والقوم:

إن للبيئات المختلفة والأجناس المتباينة أثراً لا ينكر في هذا الباب، فالبيئة العربية والشعوب العربية ـ مثلاً ـ لها خصائص قد تؤثر في هذه المسألة تأثيراً بيِّناً؛ فهذه الشعوب من صفاتها التغاضي عن الأخطاء، والخجل من مواجهة الآخرين بها، ومن صفاتها التراخي في أخذ الأمور وعدم الحزم في تناولها، ومن صفاتها التسامح وعدم استيفاء الحقوق والعفو عن المتجاوز، ومن صفاتها التي تميزت بها قلة النظام وسوء التخطيط وقصر النفس، ومن صفاتها التي قد لا تشاركها فيها أمة من الأمم ولا شعب من الشعوب ـ المجاملة والمداهنة التي لا تفتأ تنخر في جسدها وتورثها من الأمراض ما الله به عليم، إلى آخر ما خُصت به هذه الأمة من ميزات ليست بحميدة ولا تعين على تحقيق المراد في هذه القضية وفي كثير من القضايا الأخرى، وهذه الصفات على وجه التغليب بمعنى أن أكثر أفراد هذه

الشعوب واقع فيما ذكرت، وكل تلك الصفات معول هدم في باب المحافظة على المواعيد المضروبة والالتزام بها وعدم التأخر أو التخلف عنها.

ولا يعني هذا الاستسلام لهذا الواقع والرضا به والاستكانة إليه، بل لا بد من علاجه ومقاومته، لكني إنما أذكر أسباب المشكلة؛ إذ من غير الإنصاف أن نقارن أنفسنا بآخرين درجوا على صفات وخلال تخالف ما ذكرت بالكلية؛ لهذا برعوا وارتقوا وتفوقوا فيما نحن في صدد الحديث عنه وفي عشرات القضايا الأخرى التي لا مجال لسردها أو الحديث عنها.

«سبحان الله، لقد أصبح مثلاً أن يتخاطب شخصان عن موعد بينهما بتساؤلات غريبة: هل هذا الموعد عربي أو إفرنجيّ؛ ذلك لأن الموعد العربيّ ـ حسب زعمهم ـ متصف دوماً بالتأخير واللامبالاة والاستهتار، بل والإخلاف بالوعد على نقيض الموعد الإفرنجي أو الإنكليزي بالتحديد الذي يعني دوماً دقة الموعد وضبطه حتى صار مجالاً للمدح والإطراء.. وأقول للحق: إن هذا الأمر فيما يخص المواعيد واللقاءات وتحديد الزمن فيها موجود عند غالبيتهم العظمى، ومقارنة لهذا النظام السائد بينهم وبين غيرهم نجد العكس تماماً، فغالبية شعوبنا لا قيمة للوقت عندهم سواء تأخر الشخص ساعة أو ساعاتٍ أحياناً، أو يهمل الموعد وينساه أو يتناساه ـ وما أكثر ذلك ـ وسيان عنده الأمر إن حضر للموعد والتزم بالوقت، أو تأخر أو غاب عنه وتخلف، ويقول لك: ماذا يعني؟! هل خربت الدنيا واندثر العالم بهذه المخالفة وهذا التأخير؟! فيأبى في أعماق نفسه حتى عن الاعتذار

وإظهار الأسف عن التأخر أمام الآخرين مراعاة لشعورهم وأحاسيسهم وإحراجهم من هذا التأخير وهذا الارتباط بالموعد..»[(١)].

ويقول الأستاذ محمود شيت خطاب ـ رحمه الله تعالى ـ:

«إن من النادر جدّاً أن تجد في الغرب والشرق رجلاً وضيعاً أو رفيعاً، جاهلاً أو عالماً، فقيراً أو غنيّاً، رئيساً أو مرؤوساً، حاكماً أو محكوماً لا يضبط مواعيده ويحرص على توقيتها، فلماذا يحرصون على النظام ونحرص على الفوضى والإسلام دين نظام، ويضبطون المواعيد ونضبط الخلف، ويحافظون على الوقت ونحافظ على التسويف والإسلام يأمر بدقة المواعيد وينهى عن الخلف، ويعتبر الخلف من صفات المنافقين..»[(٢)].

وهناك نادرة لطيفة قصها علينا الأستاذ علي الطنطاوي تصح أن تكون شاهداً لقضية الوعد الشرقي أو الغربي حيث قال ـ رحمه الله تعالى ـ: «قال لي صديق من زملائي في المحكمة: كنت أمس وراء مكتبي فسمعت صوتاً هائلاً له رنين وصدى، كأنه صوت رجل ينادي من قعر بئر، أو يصرخ في الحمام، يقول: السلام عليكم. فرفعت رأسي فإذا أمام وجهي بطن رجل، وكأنه بطن فرس ضخم من أفراس البحر، أما رأسه فكان في نصف المسافة بيني وبين السقف، ومدَّ إليَّ يداً كالمخاطب يصافحني، ثم عمد إلى أكبر مقعد في الغرفة فحاول أن يدخل نفسه فيه فلم يستطع، فلبث واقفاً وعرض حاجته وهي دعوة إلى اجتماع للمصالحة بين أخوين من إخواننا، ولم يكن من عادتي إجابة

---

(١) مجلة «البيان»: العدد ٤٠: ذو الحجة ١٤١١، صفحة ٩٤.

(٢) مجلة «لواء الإسلام»: ١٦.

مثل هذه الدعوة، وهممت بالرفض، لولا أني قست بعيني طول الرجل وعرضه، وعمقه وارتفاعه، وآثرت السلامة ووعدته.

قال: أين نلتقي؟ فخفت أن أدله على الدار فيدخل فلا أستطيع إخراجه، فقلت له: هنا الساعة الثالثة بالضبط.

قال: نعم، وولى ذاهباً كأنه عمارة تمشي.

وجئت في الموعد، فوجدت المحكمة مغلقة، وقد نسيت أن أحمل المفتاح فوقفت على الباب والناس ينظرون إليّ، فمن عرفني أقبل يسألني فأضطر لأن أشرح له القصة، ومن كان لا يعرفني حسبني أحد أرباب الدعاوي، فقال: «ما فيها أحد، سَكّرت المحكمة» فلا أرد عليه، وأنا واقف أتململ من الضجر، أرفع رجلاً وأضع أخرى، وأقبل مرة وأدبر مرة، أنظر من هنا وهناك، فكلما رأيت من بعيد شيئاً كبيراً أحسبه صاحبي، فإذا اقترب رأيت جملاً عليه حطب، أو حماراً فوقه تبن، أو تاجراً من تجار الحرب الذين انتفخوا من كثرة ما أكلوا من أموال الناس، حتى مضت نصف ساعة، وأحسست النار تمشي في عروقي غضباً منه ومن نفسي أن لنت له ولطفت به، وذهبت إلى الدار وأنا مصدوع الرأس، مهيج الأعصاب فألقيت بنفسي على الفراش، فلم أكد أستقر لحظة، حتى سمعت رجة ظننت معها أن قد زلزلت الأرض بنا، أو تفجرت من حولنا قنبلة، وإذا أنا بصاحبي الضخم، قد فتحت له الخادمة فراعها أن رأت فيه فيلاً يمشي على رجلين، فأدخلته عليّ بلا استئذان، وولت هاربة تحدّث من في الدار حديث هذه الهولة المرعبة.

ونفخ الرجل من التعب كأنه قاطرة قديمة من قاطرات القرن التاسع عشر، التي لا تزال تمشي بين دمشق وبيروت، وألقى بنفسه على طرف

السرير، فطقطق من تحته الحديد وانحنى، وأخرج منديلاً كأنه ملحفة، ومسح به هذه الكرة المركبة بين كتفيه، وقال: هيك يا سيدنا؟ ما بتنتظر شوية؟ شو صار؟ حمّل الحج؟ سارت الباخرة؟ الإنسان مسير لا مخير[١]، والغائب عذره معه، والكريم مسامح، وعدنا وعد شرقي؟!

قال الصديق وهو يحدثني: فلما سمعت هذه الكلمة وقفت عندها، أفكر فيها، ثم جئت إليك أقترح عليك أن تكتب عنها.

وعد شرقي؟ أليس عجيباً أن صار اسم «الوعد الشرقي» علماً على الوعود الكاذبة، واسم «الوعد الغربي» علماً على الوعد الصادق؟

ومَن عَلَّم الغربيين هذه الفضائل إلا نحن؟ من أين قبسوا هذه الأنوار التي سطعت بها حضارتهم؟ ألم يأخذوها منا؟

من هنا أيام الحروب الصليبية، ومن هناك من الأندلس بعد ذلك، وهل في الدنيا دين إلا هذا الدين يجعل للعبادات موعداً لا تصح العبادة إلا فيه، وإن أخلفه المتعبد دقيقة واحدة بطلت العبادة؟

إن الصوم شرع لتقوية البدن، وإذاقة الغني مرارة الجوع حتى يشفق على الفقير الجائع، وكل ذلك يتحقق في صوم اثنتي عشرة ساعة، واثنتي عشرة ساعة إلا خمس دقائق، فلماذا يبطل الصوم إن أفطر الصائم قبل المغرب بخمس دقائق أليس ـ والله أعلم ـ لتعليمه الدقة والضبط والوفاء بالوعد؟ ولماذا تبطل الصلاة إن صليت قبل الوقت بخمس دقائق؟ لماذا يبطل الحج إن وصل الحاج إلى عرفات بعد فجر يوم النحر بخمس دقائق، أليس لأن الحاج قد أخلف الموعد؟.

(١) يعني في مثل هذه القضايا، وإلا فالإنسان مُسيّر في أمور ومخير في أخرى.

أولم يجعل الإسلام إخلاف الوعد من علامات النفاق، وجعل المخالف ثلث منافق؟ فكيف نرى بعد هذا كله كثيراً من المسلمين لا يكادون يفون بموعد، ولا يبالون بمن يخلف لهم وعداً أو يتأخر عنه؛ حتى صار التقيد بالوعد، والتدقيق فيه والحرص عليه، نادرة يتحدث بها الناس، ويُعجبون بصاحبها ويَعجبون منه، وحتى صارت وعودنا مضطربة مترددة لا تعرف الضبط ولا التحديد»(١).

وقال في مكان آخر:

«صارت كلمة الوعد الشرقي رمزاً مع الأسف للوعد الذي لا يوثق به ولا يُطمأن إليه، وكلما أوغلت في الشرق رأيت ذلك أظهر وأوضح، فلا تقام في باكستان حفلة في موعدها، ولا يأتي ضيف إلا متأخراً ساعة»(٢).

عاشراً: مشكلات المتأخر النفسية والبدنية والاجتماعية:

قال الأستاذ محمد كرد علي ـ رحمه الله تعالى ـ(٣):

«من المستحيل ضبط المواعيد في هذا الشرق الغريب، فالقوم ما

---

(١) «مع الناس»: ٧١ ـ ٧٣.

(٢) «مع الناس»: ٤٩.

(٣) محمد بن عبد الرزاق بن محمد كُرْد علي، رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق ومؤسسه، وصاحب مجلة «المقتبس» والمؤلفات الكثيرة، وأحد كبار الكتاب. ولد سنة ١٢٩٣ بدمشق، وأصله من أكراد السليمانية من أعمال الموصل، وأقبل على العلم والمطالعة، وأحسن التركية والفرنسية وتذوق الفارسية، وحفظ أكثر شعر المتنبي ومقامات الحريري، وأنشأ صحفاً، وتولى رئاسة تحرير صحف أخرى، وخاض غمار السياسة وزيراً، واتصل بالشيخ طاهر الجزائري اتصالاً وثيقاً. وكان من أصفى الناس سريرة وأطيبهم لمن أحب عشرة وأحفظهم ودّاً، توفي بدمشق ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ١٣٧٢، انظر «الأعلام»: ٦/ ٢٠٢ ـ ٢٠٣.

عرفوا التوقيت، وربما كان ضبط المواعيد مما يستغربونه ويصعب على نفوسهم، ومسألة المواعيد مما شغل جانباً من وقتي، وكنت آلم من الإخلال بها، وقد تغلبت عليها إجمالاً، وغرستها في صدور بعض الناشئة بصعوبات كثيرة، ولقنت من أحاطوا بي ورأستهم ـ وإن شق عليهم تحكمي بادئ بدء ـ أن يراعوا المواعيد أبداً لما في فوضى الأوقات من ضرر لهم ولغيرهم، وبالإخلال بالمواعيد يثبتون أنهم شعب غير متحضر»(١).

(١) «أقوالنا وأفعالنا»: ٣٨ ـ ٣٩.

المبحث السابع

المشكلات المترتبة على قضية الإخلاف بالموعد

إن قضية الخلف بالمواعيد ليست قضية سهلة أو هينة حتى تُتجاوز، بل هي مشكلة إيمانية تربوية اجتماعية ينبغي النظر في أسبابها والآثار الكبيرة التي تتركها في الأفراد والمجتمعات، ولئن تحدثت عن الأسباب آنفاً فهذا هو وقت الحديث عن الآثار والمشكلات المترتبة على هذا الأمر، فمن هذه المشكلات:

أولاً: عدم الاعتماد على من يتخلف عن موعده وعيب صنيعه:

وهذا أمر خطير إذا انتشر بين الناس أن فلاناً ليس بجادٍّ، ولا هو ممن يعتمد عليه، ولا ينبغي الالتزام معه بموعد مضروب؛ إذ نتيجة ذلك أن يُعرض الناس عن هذا الشخص فلا يشارك في أمر ذي بال، ولا يُدعى إلى المعالي، ويظل على هامش الحياة لا أثر له فيها على الحقيقة، فانظر يا أخي القارئ وأختي القارئة كيف تدرج الأمر بالشخص من تخلف عن موعد مضروب واعتياد ذلك إلى أن يُقذف به خارج دائرة العمل الجاد، بل خارج دائرة المعالي، والعياذ بالله.

قال الأستاذ محمود شيت خطاب ـ رحمه الله تعالى ـ:

«إن الذي لا يدقق بالمواعيد ويخلفها أو يتأخر عن توقيتها حتى ولو دقيقة واحدة يرتكب إثماً[١]، ويناقض خلق القرآن، ويضيع ثقة الناس به، ويفقد أصدقاءه، ولا يحوز على احترام أحد إلا إذا كان من أمثاله، هو بعد ذلك يضيع أوقات الناس سدى، ويربك أعمالهم ويزعجهم؛ لأن الانتظار أحرُّ من النار كما يقول المثل العربي المشهور.. إنه من الناحية الدينية مقصر. وهو من الناحية الأخلاقية صفة معيبة لا يتحلى بها المؤمن أبداً، ولا ينبغي أن يتحلى بها في حال من الأحوال، وهو من الناحية الاجتماعية ـ بعدم صدق الوعد ـ يرتكب ما لا يُشرف الرجل السوي، ويَسمه بسمة الخلق الوضيع..»[٢].

ثانياً: عدم الثقة بما يُضرب من مواعيد:

وهذه مشكلة شائعة؛ إذ ينتشر بين الناس ألَّا سبيل إلى الحضور في الموعد المضروب فإذا لم يكن الموعد في الثامنة فلا بأس أن يكون في التاسعة أو العاشرة.

وأعظم من هذا وأصعب أن ينتشر بين الناس مقولة: لنجعل الموعد المضروب الساعة الثامنة حتى نبدأ التاسعة!!! سبحان الله، ما هذا؟! وكيف يضع الناس ثقتهم بعد هذا في الموعد المضروب ليلتزموا به؟!.

ثالثاً: تفلت الجادين من الالتزام بمواعيد العابثين:

إذا رأى الشخص الجاد أن المجموعة التي التزمت بالموعد قد اعتادت أن تتخلف عنه وألا تعيره الاهتمام اللائق، فإنه قد ينصرف عن

---

(١) هذا يقوله الأستاذ على سبيل التأكيد والمبالغة.

(٢) مجلة «لواء الإسلام»: ١٧.

الالتزام معهم في أي موعد يضربونه، بل قد يعتذر عن عدم حضوره واستمراره مع تلك المجموعة، فإذا انسحب الشخص الجاد وبقي الضعاف؛ فهل يُرجى لهذا العمل أي تقدم وإنتاج؟! وهل يُعقل أن يبقى شخص جاد مع أولئك العابثين اللاهين؟!.

رابعاً: تعطل إنجاز الأعمال:

إذا انتشر في الناس التخلف عن المواعيد أو التأخر عنها فإن ذلك يؤدي في المنظور المتوسط والبعيد إلى تعطيل إنجاز أعمال كثيرة، أو التأخر في إنجازها تأخراً يُعد أخاً للتعطيل، وينبني على ذلك عدم الوفاء بكل ما أُريد تنفيذه من خطط وأهداف، وفي ذلك خسارة كبيرة للجهود وتضييع للأعمال.

خامساً: عدم الفهم الكلي أو الجزئي لما يجري في اللقاء:

وهذا يكون عندما يتأخر القادم تأخراً يؤدي به إلى أن يفقد المتابعة المؤثرة الصحيحة لما يجري بسبب تأخره وعدم فهمه للنقاش الدائر، كما مرَّ شرحه آنفاً.

ويعظم هذا البلاء إن غادر بعض الأشخاص قبل نهاية النقاش والخروج بنتائج محددة، ولضرب المثال على هذا أُمثِّل بهذا المثال:

اجتمع عشرة من الأشخاص لمناقشة قضية ما، فتأخر واحد منهم فحضر بعد نصف ساعة من بدء النقاش، وتأخر ثانٍ فحضر بعد ساعة، وتأخر ثالث فحضر بعد ساعة ونصف، ثم خرج من اللقاء شخص قبل نهاية اللقاء بساعة و تلاه آخران فخرجا قبل نهاية اللقاء بأربعين دقيقة، فيكون من حضر اللقاء من بدايته إلى نهايته أربعة فقط من عشرة

أشخاص، أما الباقون فلم يُتح لهم الحضور الكامل والمتابعة المؤثرة المنتجة للنتائج الحسنة.

وهذا على اعتبار أن هؤلاء الأربعة حضروا وقد أعدوا أنفسهم ذهنيّاً ونفسيّاً للقاء، أما إن كانوا على غير ذلك فلك أن تتخيل كيف تم هذا اللقاء، وما هي الفوائد التي خرج بها المجتمعون، ولتعرف بعد هذا لماذا لا تثمر أكثر اللقاءات ولا تخرج بقرارات مؤثرة نافعة يحصل لها المتابعة المطلوبة بعد ذلك؛ إذ كيف يتابع من لم يحضر الحضور الكافي أو من غادر قبل أن تنشأ القرارات، فلم يطلع عليها أصلاً، أو وصلته مشوهة مبتورة، أو خالية من الحماس المطلوب لتنفيذها؟!!.




المبحث الثامن

علاج هذه المشكلة

على ضوء ما سبق وما أوردته من مشكلات تنتج عن هذه المشكلة أقترح علاجاً لها على الوجه الآتي، والله أعلم:

أولاً: التربية الإيمانية الجادة:

إن التربية الإيمانية الجادة كفيلة ـ بإذن الله تعالى ـ أن تقضي على هذه الظاهرة كليّاً أو تخفف من آثارها تخفيفاً كبيراً، لكن المشكلة هي إغفال هذا الأمر ومحاولة القفز فوق الجدية، وعلاج مشكلات الأشخاص علاجاً جزئيّاً فيه الكثير من التساهل والضعف، أو إغماض العين عن السلبيات، ولو أن الناشئة عولجوا من بداية حياتهم الدعوية العلاج الجاد القوي، وعوملوا المعاملة الصارمة في هذه القضية بالذات، وأُلزموا الحضور في الموعد إلزاماً لا مناص لهم منه، لو أنهم عولجوا كذلك لقضي على هذه الظاهرة في مهدها، وتخلص منها في بداية بزوغها.

وإن المجتمعات المترفة الغنية ـ ومنها مجتمعنا ـ اعتادت على التساهل في شتى شؤون حياتها، وأخذت بالتراخي في سائر أمورها، ومنها قضية الالتزام الدقيق بالحضور في الموعد المضروب، لكن لا بد

مما ليس منه بد، والمجاملة والمداهنة في هذه القضية تعود بأوخم العواقب وأشدها تأثيراً.

ثانياً: المصارحة وعدم المواربة والمجاملة و المداهنة:

إن مواجهة أولئك الذين يضيعون أوقات الآخرين ولا يأبهون لأمر حتمٍ لازمٍ، لا تنفع معه المواربة والمجاملة، ولا يليق فيه إلا المصارحة وعدم المداهنة، والتوقيف على الخطأ، والإعلام به، ولو فُعل ذلك مع كل من يتأخر أو يتخلف لتغيرت أحوالنا، ولأثمرت أعمالنا، ولآتت أكلها جهودنا، وما عاد علينا بالضرر إلا سكوتنا عن مواجهة أولئك وخوفنا من غضبهم أو انسحابهم، وفي الحقيقة أن انسحابهم مع المحافظة على النظام والالتزام بالأوقات خير من وجودهم مع الإخلال بكل ذلك، وتوريث الآخرين هذه المشكلة، وانتقال عدواها إلى غيرهم.

وقد مَرَّ في هذه الرسالة[١]، أن الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله تعالى ـ كان لا يقبل أن يتأخر الطلاب عن موعدهم، وأنه كان يؤنب من يخلف الميعاد، ويحمله نتائج إخلافه هذا، وكلما وجد فرصة يذكره بها بإخلافه الوعد فعل.

ثالثاً: سَنُّ العقوبات المعنوية المناسبة في هذا الباب:

وليس في هذا الأمر شيء؛ إذ إن الأعمال الوظيفية الدنيوية لا ترضى هذا التأخر ولا تستسيغه، بل تعاقب عليه، وتُغرم من يصنع ذلك ويدعمه من ماله، بل ترتب عليه تأخر الترقية والعلاوات، فلماذا إذا

---

(١) انظر المبحث الخامس

جئنا لأمر من الأمور الدينية توجسنا خيفة من العقاب؟! فلو أن كل شيخ حلقة، أو مسؤول مركز قرآني أو صيفي، أو مدير مخيم دعوي لم يرض بهذا وأظهر الامتعاض هو ومن معه من ذلك الصنيع، وأنحى باللائمة سرّاً ثم جهراً، على من يقوم بذلك ويكرره لتغير الأمر، والتزم الناس الموعد وحرصوا عليه.

ومن العقوبات المعنوية ابتداء الدرس إذا حَلَّ الأجل، وعدم انتظار من يتأخر، فإن حضر فإنه سيُحرج لتأخره ويندم عليه.

ومن العقوبات المناسبة في الرحلات تحرك المجموعة إلى مكان الرحلة وعدم انتظارها من يتأخر، فإن ذلك قد يفوت الرحلة على المتأخرين ويعلمهم الدرس المناسب.

وقد يقال إن لأولئك المتأخرين عذراً، فأقول إن هناك من وسائل الاتصال من جوال[1] وغيره ما يمكن معه إبداء العذر؛ حتى لا ينتظر مجموعة كبيرة شخصاً أو شخصين من الذين لا يقدرون أهمية الوقت ولا يلتفتون إلى وجوب الالتزام بما يضربونه من مواعيد وما يلتزمونه من آجال.

ومن باب العقوبات المعنوية المناسبة ما قصه علينا الأستاذ محمد كرد علي حيث قال:

«حدث أن أراد المجمع العلمي العربي إقامة حفلة تأبين[2] لأمير

(١) الهاتف السيار أو المحمول.

(٢) حفلات التأبين هذه مما لم تكن في زمان سلفنا ولا تُعهد في شرعنا، لكن لو عقدت ندوة أو ما شابهها لإبراز محاسن الميت ومآثره وأياديه على الإسلام وجهوده حتى يقتدى به فيها، وتبرز كتبه ومصنفاته وأعماله، ويُدعى الناس إلى اتباعه في كل ذلك فأرجو ألا يكون في ذلك بأس، والله أعلم.

الشعراء أحمد شوقي[(١)] تحت رعاية أول رئيس للجمهورية السورية السيد محمد علي العابد[(٢)] صديق الشاعر أيام الطلبة، فلما حانت ساعة افتتاح الحفلة وتأخر الرئيس أوعزتُ إلى القارئ أن يقرأ وللخطباء أن يتقدموا ويلقوا خطبهم حسب البرنامج المقرر.. وجاء الرئيس بعد ربع ساعة من الوقت المعين، وفهمت أن أمين السر ادعى للرئيس أن الكبراء في العادة يشخصون إلى الدعوات عندما يتكامل الحشد، فقلت للرئيس: أنا أرى أن تكون فخامتك المثل المقتدى به في المحافظة على الأوقات، وقاعدة تخلف الكبراء عن الوقت المحدد تزيدنا فوضى إلى فوضانا، ونحن نبغي أن نقضي على هذه الفوضى.

لشدَّ ما امتعضت من تسامح قومي في المواعيد، وكنت كثيراً ما أُسمعهم أشدَّ التقريع»[(٣)].

---

(١) أحمد شوقي بن علي بن أحمد شوقي، أشهر شعراء العصر الأخير، ويلقب بأمير الشعراء. ولد بالقاهرة سنة ١٢٨٥، وكان أصله من الأكراد، نشأ في ظل البيت المالك بمصر، وتعلم في بعض المدارس الحكومية، ودرس الحقوق بفرنسا، وعاد ليتعين رئيساً للقلم الإفرنجي بديوان الخديوي عباس حلمي، ثم صار من أعضاء مجلس الشيوخ، واتسعت ثروته وعاش مترفاً، توفي بالقاهرة سنة ١٣٥١، رحمه الله تعالى، انظر «الأعلام»: ١/ ١٣٦ ـ ١٣٧.

(٢) محمد علي بك بن أحمد عزت باشا بك هولو باشا العابد، أول من سُمي رئيساً للجمهورية السورية. ولد سنة ١٢٨٤ بدمشق، وتعلم بها وبإسطنبول، ودرس الحقوق بباريس. وعينته الحكومة العثمانية وزيراً مفوضاً بواشنطن سنة ١٩٠٥ ـ ١٩٠٨، وبعد الحرب العالمية الأولى وانحلال الدولة العثمانية ووقوع سورية تحت الاحتلال الفرنسي عين وزيراً للمالية فيها ثم رئيساً لجمهوريتها سنة ١٩٣٢ ـ ١٩٣٦، توفي بباريس سنة ١٣٥٨ الموافقة لسنة ١٩٣٩، ودفن بدمشق، رحمه الله تعالى. انظر المصدر السابق: ٦/ ٣٠٤.

(٣) «المذكرات»: ٣/ ٧٠٧.

وهناك قصة لطيفة في باب العقوبات المعنوية تحكيها حفيدة الشيخ علي الطنطاوي ـ رحمه الله تعالى ـ الأستاذة عابدة العظم حيث قالت:

«حين أسترجع طفولتي محاولةً تلمس المزيد مما تعلمته من جدي أحس بالدهشة والعجب؛ إذ أتذكر كيف كان يتعامل مع الموعد، وكم كان دقيقاً في الوفاء بالمواعيد، كانت تلك خصلة متأصلة في نفسه يهتم لها اهتماماً زائداً، ويتقيد بها ويلتزم بأدائها بالدقيقة، بل الثانية، حتى أضحت الصفةَ التي تميز شخصيته، وأمكن ضبط الساعة على مواعيده! إنها قاعدة ما خرقها جدي أبداً، وكان يستعين على مواعيده وأموره كلها بساعة مضبوطة كبيرة الحجم معلقة بشكل بارز في غرفته، مقابل مجلسه، وكان ينظر فيها بين حين وحين، فيجوع إذا أشارت الساعة إلى موعد طعامه، وينعس إن دلّت على موعد نومه. أما إذا أراد الخروج فإنه يعد عدته ويجهز الأوراق اللازمة ويحشوها في شنطته، ثم يلبس كل ثيابه ويجلس على كرسي عند الباب ممسكاً ساعة يدوية صغيرة مراقباً عقاربها، مستعجلاً وقت رحيله، كارهاً دقائق الانتظار الأخيرة، وطالما جلست معه محاولة التحدث إليه والسماع منه، وهو منشغل عن حديثي بانتظار السيارة التي سوف تنقله إلى مبنى التلفزيون لتسجيل برنامجه. وكان هذا شأنه دائماً في علاقاته مع الناس، فإن أعطى موعداً تجهز له قبل الوقت المحدد بعشر دقائق، ثم جلس مرتقباً وقد أعد العدة لموعده ذاك كأنه أَجَلُّ المواعيد وأعظمها شأناً، فكنت أراه ـ إذا وعد زائراً ـ جالساً منتظراً في غرفة الاستقبال وقد لبس ثوبه، وكان يعتبر تأخر صاحب الموعد في الوصول (ولو لدقائق معدودات) ذنباً يستحق العقاب الصارم، حتى لأذكر أن رجلاً

وعد جدي ذات مرة بزيارة وحدد له ساعة معينة، فاستعد جدي ـ شأنه دائماً ـ قبل الموعد ولبث ينتظر، وينظر في الساعة وينتظر وينظر وينتظر! والانزعاج بادٍ على ملامحه والضيق ظاهر في وجهه، حتى مر ثلث ساعة كاملة، عندها دق الجرس وحضر الرجل، ففتح له جدي الباب كاظماً غيظه، وأدخله غرفة الضيوف، ثم تركه وحده وعاد للجلوس مع جدتي وبناته، جلس معهن ثلث ساعة كاملة، والرجل جالس وحده في غرفة الضيوف دون أنيس أو جليس أو طعام أو شراب، لقد قدَّم جدي لذلك الرجل درساً عمليّاً أشعره فيه بالأذى الذي يسببه المرء للآخرين بإخلافه الوعد، ثم استقبله فأحسن استقباله وآنسه وأكرمه كأحسن ما يكرم المرء ضيفه.

كان احترام المواعيد من أكثر ما سعى جدي إلى إقناع الناس به وحملهم عليه، فكتب ـ في بعض مقالاته ـ يقول: «ثم إنك تجد المنتسبين إلى الإسلام اليوم أكذب لهجة، وأخلف وعداً، وأضْيَع لأمانة ممن ليسوا مسلمين، حتى صار المثل يضرب بالوعد الشرقي في خلفه وإضاعته والتأخر عنه، وصار من يريد أن يؤكد وعداً يصفه بأنه وعد أوروبي!»، لم تكن تلك دعوة في كتاب فحسب، بل كانت منهجاً عاشه جدي وألزمه به نفسه وأهل بيته ثم سعى إلى بثِّه ونشره بين الناس، فهل كان مبالغاً في ذلك إذا علمنا أن الخلف في الوعد ربع النفاق أو ثلث النفاق؟!»[١].

وقد مرَّ قبل ذلك في هذه الرسالة[٢] ما صنعه الشيخ ابن عثيمين

---

(١) مقالة في مجلة «المجتمع»، قسم المجتمع الأسري.

(٢) انظر المبحث الخامس.

حيث اتصل به أحد المشايخ متأخراً ثلاث عشرة دقيقة عن موعد ضربه له ليبدأ درساً هاتفيّاً فقال له: تأخرتم ثلاث عشرة دقيقة، فقال الشيخ: يا شيخ، خطوط الهاتف كانت السبب، فقال: نحسم عليكم ثلاث عشرة دقيقة من آخر الدرس، وفعل ذلك.

نعم إن التأخير هنا لعذر، لكن الشيخ يعلم طلابه الدقة والضبط.

رابعاً: تكريم من يلتزم الموعد تكريماً معنوياً وماديّاً مناسباً:

وهذا سهل التحقق في الشباب الصغار والناشئة الأحداث، حيث يقوم مربوهم والمسؤولون عنهم في شتى المجالات الرياضية والتربوية والدينية والعلمية بتكريمهم جهاراً وعلى رؤوس الناس إن هم أحسنوا فحضروا في الوقت المحدد المتفق عليه والموعد الذي التزموه وارتضوه، وهذا الصنيع يغري الآخرين ويحملهم على اقتفاء أثر هذا المكرَّم والتنافس في الحضور في الوقت المحدد، وأنا أعرف مسؤولاً تربويّاً في إدارة من إدارات التعليم قد سلك هذا المسلك، وطرق هذا الطريق، فكان يضرب موعداً محدداً لطلابه، ثم إذا اجتمعوا يكافئ أول الحضور وثانيهم بكتاب أو بهدية مناسبة فيترك عمله هذا أثراً جميلاً في المكافئ والآخرين، ويضرب لهم مثلاً عمليّاً جيداً في المحافظة على الالتزام بالمواعيد المضروبة.

خامساً: التزام القدوات بالمواعيد المضروبة:

ليس أنجع في حل هذه المشكلة ولا أعظم أثراً من أن يضرب القدوة المثل بنفسه؛ فيسارع في الحضور والالتزام بالموعد المضروب التزاماً يغني عن أي كلام، ويقوم مقام توجيهات شفهية كثيرة، لكن المشكلة الكبيرة في هذا الأمر أن كثيراً من القدوات، بل الأكثر

الأغلب هم الذين يتخلفون عن الحضور في الأجل المضروب والموعد المحدد، فترى في أعين الحاضرين الامتعاض والتأثر الشديدين بهذا الذي يحصل، وتأخر أولئك يغري الناشئة والملتزمين طريق الدعوة حديثاً بالتأخر أيضاً وسلوك ما سلكه أولئك من الخطأ، وما وقعوا فيه من الزلل.

يا أيها الرجل المعلم غيره
هلا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإن انتهت عنه فأنت حكيم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله
عار عليك إذا فعلت عظيم

قال الإمام الشَوْكاني[1] ـ رحمه الله تعالى ـ يذكر حال شيخه الخدائي[2]:

كان مواظباً على التدريس، لا يمنعه منه مانع، فإنه يقع المطر

(١) محمد بن علي بن محمد الشوكاني. فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن من أهل صنعاء، ولد سنة١١٧٣، بهجرة شوكان من بلاد خَوْلان باليمن، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها سنة ١٢٢٩، وله مصنفات كثيرة تبلغ ١١٤ مصنفاً، توفي بصنعاء سنة ١٢٥٠، رحمه الله تعالى، انظر «الأعلام»: ٦/ ٢٩٨.

(٢) أحمد بن عامر الخدائي ثم الصنعانيّ، أخذ علم الفقه والفرائض بصنعاء عن جماعة من علمائها، وتصدر للتدريس في هذين العلمين بجامع صنعاء، واستفاد منه جماعة من الأعيان على ثقل في لسانه بحيث لا يكاد يعرف عبارته ويفهمها إلا من مارس ذلك. وكان زاهداً مواظباً على الطاعات، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، توفي ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ١١٩٧، انظر «البدر الطالع»: ١/ ٦٢ ـ ٦٣.

العظيم الذي يمنع من خروج من هو في سن الشباب فلا يكون ذلك عذراً لدى صاحب الترجمة؛ لرغبته في الخير وحرصه على إفادة الطلبة، ولقد استمر انصباب المطر في بعض السنين من قبل الفجر إلى قريب وقت الظهر، وكان معنا درس عليه وقت الشروق فما تركت الذهاب إلى الجامع لعلمي بأن مثل ذلك لا يمنعه مع علو سنه، فانتظرت له في المكان المعد للدرس فلم يأت هو ولا أحد من الطلبة وهم كثيرون، فجاء اليوم الثاني وقال لي: هل أتيت إلى هنا؟ قلت: نعم، قال لو علمت أنك أتيت ما تخلفت، ثم تأسف كثيراً على فوت الدرس»[(١)].

سادساً: الالتزام بالبدء في الموعد وعدم انتظار المتأخر:

من أسباب العلاج الواضحة الالتزام ببدء الموعد في زمانه المقرر وعدم انتظار المتأخر، وهذا علاج ناجح لأنه يحقق عدة أمور منها:

١ ـ شعور المتأخر بالخجل من تأخره، وهذا لأنه إن ولج إلى المكان والقوم مشغولون بالحديث مع بعضهم البعض بأمر لا يتعلق بموضوع الدعوة فإنه لن يشعر بالشعور نفسه الذي يصيبه إن ولج إلى المكان والقوم منصرفون لما جاؤوا له.

٢ـ إشعار المتأخر أن القوم ليسوا في حاجة ماسة إليه، وأنهم يمكن أن ينصرفوا إلى ما جاؤوا له دون انتظار حضوره، وهذا يشعره بنقص يلازمه لا ينفك عنه إلا بحضوره في الوقت المقرر سلفاً.

٣ ـ يشعر الآخرين بأهمية ما جاؤوا له، وأن الموعد محترم، وذلك

---

(١) «المختار المصون»: ٣/ ١٣٩٥.

لأن كثيراً من الناس يمل من انتظار الآخرين المتكرر بحيث يظل نصف ساعة أو ساعة أو أكثر يعاني من هذا الأمر، وهذا إن تكرر له هذا قد يزهد في الحضور بعد ذلك أو يتأخر عن موعده فلا يعود منضبطاً فيه، قال الأستاذ محمد كُرد علي:

«وفي العادة أن يأتي المدعوون بعد الميعاد الذي ضربه لهم صاحب الدعوة، وكثيراً ما يتخلف بعضهم ساعة عن الوقت المقرر، وصاحب المائدة لا تسمح نفسه أن يقدم طعامه لمن اجتمع فيشتد بهم الجوع، ولا يدرك الداعي أنه بإكراه من حضر على انتظار من تخلف يحتقر من لبى الطلب في الوقت المعين ويضيع عليهم أوقاتهم، وقد تكون لهم مواعيد أخرى، ولا يأذن بإطعام مدعويه إلا إذا تم الحشد كله، وربما حدثته نفسه أن يرسل ولده أو خادمه يسأل عن المتخلف ويستحثه أو يهتف له بالهاتف، وفي الغالب أن المتخلف لا يعتذر شفاهاً ولا كتابة، وعلى هذا يستلزم تناول وجبة من الطعام أن يصرف المدعوون ساعات»[1].

وهذا الأستاذ علي الطنطاوي يقص علينا من لطائفه ما يصلح لإيراده هاهنا إذ قال ـ رحمه الله تعالى ـ:

«دعيت مرة إلى وليمة عند صديق لي قد حدد لها ساعة معينة هي الساعة الأولى بعد الظهر، فوصلت مع الموعد فوجدت المدعوين موجودين إلا واحداً له عند صاحب الدار منزلة، وتحدثنا وحلت ساعة الغداء. توقعنا أن يدعونا المضيف إلى المائدة فلم يفعل، وجعل يشاغلنا بتافه الحديث، ورائحة الطعام من شواء وقلاء وحلواء، تملأ

---

(١) «أقوالنا وأفعالنا»: ٣٨.

آنافنا وتصل إلى مِعدِنا الخاوية، فتوقد فيها ناراً، حتى إذا اشتد بي الجوع قلت: هل عدلت عن الوليمة؟

فضحك ضحكة باردة وخالها نكتة، فقلت: يا أخي جاء في الحديث أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، ونحن جماعة وهي واحدة وهي قطة ونحن بشر!.

فتغافل وتشاغل، ثم صرح فقال: حتى يجيء فلان. قلت: إذا كان فلان قد أخلف الموعد، أفنعاقب نحن بإخلافه؟ وهل يكون ذنبنا أننا كنا غير مخلفين؟ والحفلات مثل الولائم، يكتب في البطاقة أنها تبدأ في الساعة الرابعة، وتبدأ في نصف الخامسة. وأعمالنا كلها على هذا النمط»[١].

سابعاً: تحديد ساعة معينة للبدء:

وهذا الأمر مهم في حسم هذا الداء ـ داء التأخر عن المواعيد والتهاون فيها ـ، وذلك أن تحديد ساعة معينة للبدء والانتهاء أدعى للضبط وأبعد عن التراخي، وأجلب للحرج لمن يتأخر، وذلك إذا قيل مثلاً إن الموعد الساعة الثامنة مساءً، فمن تأخر إلى الثامنة والربع أو النصف سيشعر بالحرج، هذا إن بقي في قلبه حياة، وسيتجنب التأخر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، أما إن قيل إن الموعد بعد المغرب مثلاً أو بعد العشاء، فسيجد المتأخر متسعاً لتأخره وباباً فسيحاً للاعتذار، وهذا العصر الذي نعيشه والزمان الذي نكابده لم يعد يسمح بمثل هذه

(١) «مع الناس»: ٧٣ ـ ٧٤.

المواعيد المتراخية؛ إذ كل شيء في هذا العصر، تقريباً، منضبط بساعة محددة بالدقائق بل بالثواني أحياناً، ألا ترى إلى ما ابتدعوه من آلات في هذا الزمان تضبط بالثواني الدخول إلى مقار العمل والخروج منه، وإلى وسائل الإعلام كيف تبث برامجها وأخبارها منضبطة بالدقائق والثواني، وغير ذلك من مظاهر الانضباط السائدة، فكيف يصح بعد ذلك أن نحدد مواعيد ليست منضبطة بساعة محددة بالدقائق؟!

يقول الأستاذ علي الطنطاوي ـ رحمه الله تعالى ـ متحدثاً عن المواعيد المتراخية:

«الإسلام لا يعرف هذه الوعود المائعة.. قبل الظهر، بين الصلاتين، بعد المغرب، بل يعرف الوعد المضبوط ضبط الساعة: ضبط أوقات الصلاة وأوقات الإمساك والإفطار»[١].

وقال في موضع آخر:

«يقول لك الرجل: الموعد صباحاً. صباحاً؟! في أي ساعة من الصباح: في السادسة، في السابعة، في الثامنة؟ إنك مضطر إلى الانتظار هذه الساعات كلها!! الوعد بين الصلاتين، وبين الصلاتين أكثر من ساعتين!! الوعد بعد العشاء!! أهذه مواعيد؟! هذه مهازل وسخريات لقوم لا عمل لهم ولا قيمة لأوقاتهم، ولا مبالاة لهم بكرامتهم، هذه مواعيدنا في ولائمنا وحفلاتنا، في اجتماعاتنا الفردية والعامة»[٢].

---

(١) «مع الناس»: ٥٠.

(٢) المصدر السابق: ٧٣.

ثامناً: الالتزام بمدة اللقاء:

وهذا مكمل لما قبله، وإذ ينبغي لمن حضر لقاء ما أن يلتزم بموعدي الحضور والانصراف، ومن مظاهر التهاون الواضحة ألا يلتزم من حضر الموعد أن ينصرف عند انتهاء الموعد، فتجده ينصرف بعد حضوره بمدة قد تطول أو تقصر، ومثال ذلك أن يتفق أهل الحي على إقامة رحلة إلى مكان ما لمدة يومين، فمن مظاهر التقصير في الالتزام بموعد هذه الرحلة أن تجد بعض المشاركين يحضرون ثم ينصرفون في اليوم الأول، أو بعد ساعات من بدء البرنامج، نعم إن لبعض الأشخاص عذراً مهمّاً دعاهم إلى الانصراف لكن ما بال سائر المنصرفين، وكم سيحدث لبرنامج الرحلة من اختلال إذا كثر عدد المنصرفين، وهذا كما هو ملحوظ في الرحلات فهو مشاهد ومعروف في سائر أنواع البرامج من رحلات، ولقاءات قصيرة أو مطولة، أو اجتماعات، . . . إلخ.

فينبغي لمن عقد العزم على حضور موعد ما أن يلتزم بالبرنامج الموضوع حضوراً وانصرافاً، فإن لم يستطع لعذر ما فَلْيُبيِّن هذا قبل حضور اللقاء بمدة كافية، وألا يفاجئ الناس بالاعتذار المتأخر، وإن كان حال من صنع هذا أفضل بكثير ممن ينسحب أثناء اللقاء مفاجئاً الآخرين بأن لديه عذراً ما.

وهذا إن وقع من عدد من الحاضرين فإنه سيقود إلى ضعف واضح في برنامج اللقاء، ويغري بعض الحاضرين بالانسحاب والاعتذار أيضاً.

تاسعاً: الأخذ بالأسباب الحديثة في تنظيم الوقت:

هناك دراسات علمية حديثة جادة وضعت للأخذ بيد الناس حتى يضبطوا أوقاتهم وينظموا أحوالهم، وفيها من الجداول والأفكار والأوضاع ما يساعد مساعدة جيدة في القضاء على هذه المشكلة أو التخفيف منها إلى حد كبير، وهذه الدراسات بُثت في كتب متعددة منها على سبيل المثال: «الوقت عمار أو دمار» للأستاذ جاسم المطوع ـ حفظه الله تعالى ـ بجزأيه.

عاشراً: الاعتذار المسبق أو اللاحق:

إن حصل لأحد من الناس عذر قاهر منعه من الحضور أو اضطره إلى التأخر فإنه ينبغي له أن يتصل بصاحب الدعوة بوسيلة من وسائل الاتصال ليعتذر عن عدم الحضور أو التأخر، فإن لم يستطع فليس أقل من أن يتصل ليعتذر بعد انقضاء الموعد، فلا يصح أن يتناسى الأخ موعده فلا يعتذر وكأن شيئاً لم يحصل، قال الأستاذ محمود شيت خطاب ـ رحمه الله تعالى ـ:

«ربما يتخلف المسلم عن الموعد المضروب لأسباب قاهرة، فمن الذوق السليم أن يتصل بالذي وعده هاتفيّاً، فيخبره على الأقل بأنه سيتخلف عن الموعد ساعة أو ساعات، أو يلغي الموعد فيؤجله إلى وقت آخر، وطالما اتصل بي شخص من الأشخاص واتفق معي على موعد من المواعيد، فأنتظر الساعات الطويلة مضيعاً وقتي، مربكاً عملي، ثم لا يحضر ولا يعتذر عن الحضور[1]، وبعد أن ينفد صبري

(١) هكذا، وهو خطأ شائع، والصحيح: ولا يعتذر عن عدم الحضور.

ويضيق صدري أتصل به هاتفيّاً فإذا به قد نسي الوعد أو لم يكترث بصدقه لأسباب تافهة، فأقول له: ألا تملك هاتفاً؟ لماذا لم تعتذر؟ فيجيب بغير اهتمام أو شعور بالمسؤولية: ما حصل حاجة. كيف لم تحصل حاجة!! إنني لا أستطيع أن أفهم»[١].

حادي عشر: الالتزام بتهيئة النفس للموعد المضروب:

وهذا أمر مهم وبيانه: كما أنه ينبغي لمن حضر أن يلتزم بالوقت حضوراً وانصرافاً، فكذلك ينبغي له أن يهيئ نفسه لحضور اللقاء نفسيّاً وذهنيّاً وجسديّاً، ويعد للقاء إعداداً مناسباً كافياً، وهناك مظاهر ينبغي تجنبها في هذا الباب منها:

---

(١) مجلة «لواء الإسلام»: ١٧، هذا وقد ذكرت هذه القصة قبل هذا لكن أعدتها لمناسبتها لما ذكرت هاهنا، وفيها هاهنا زيادة أيضاً.

أمور ينبغي تجنبها عند الحضور للموعد

أولاً: حضور اللقاء وهو مشوش الذهن غائبه:

فمن حضر وهو ممزق النفس مشغول، مثقل بعشرات المشكلات، شارد الذهن، غائب عن اللقاء روحاً وعقلاً، صار كأنه حاضر بجسده فقط، أما عدا ذلك فهو في مكان آخر، وهذا فيه ما فيه من التقصير والإخلال بالمشاركة الفعالة في اللقاء، والاعتذار عن عدم الحضور أولى بمثل هذا، إذ إن حضوره قريب من عدمه.

ثانياً: حضور اللقاء وهو نعِس يغالب النوم:

العجيب أن بعض الناس يأتي لينام في اللقاء، فتجده أكثر وقته نائماً أو يغالب النوم، والنعاس مستولٍ عليه استيلاء يجعله كالنائم، وهذا الصنيع عجيب منه، دال على الاستهانة باللقاء والمشاركين فيه، والاستهانة بأهميته، وإلا قل لي بربك هل يستطيع من يصنع هذا أن ينام أو ينعس بحضرة الكبراء، أو أنه سيراقب حواسه مراقبة تامة؟! وهل يعقل أن يشغل المرء وقته قبل اللقاء بجملة من الأعمال ثم يأتي إلى لقائه المضروب وموعده ليرقد فيه ويغفل؟! إن هذا لشيء عجيب.

ثالثاً: الانشغال عن اللقاء:

وهذا تجده واضحاً في شخص أخذ يقرأ جريدة أو كتاباً أثناء اللقاء، أو أخذ بالتشاغل بكتابة شيء خارج تماماً عن موضوع اللقاء،

أو ظل يتحدث مع من بجواره في شيء ليس له علاقة بموضوع اللقاء، وكل ذلك دال على عدم احترام اللقاء والمشاركين فيه، وأن الشخص لم يعد نفسه الإعداد الكافي لحضور اللقاء.

رابعاً: عدم التحضير للّقاء:

وذلك بجلب ما ينفع المتلقين ويحقق الغرض المطلوب؛ إذ من دُعي إلى لقاء مجلس مكتب الدعوة التعاوني ـ مثلاً ـ في حيه لمناقشة قضية تخلف الناس عن حضور صلاة الجماعة، أو تقصيرهم في قضية الإنفاق على المسجد، من دُعي إلى لقاء كهذا ينبغي له أن يأتي وقد أعد نفسه لمناقشة هذه القضية، وفكر قليلاً في سبل حلها، ولا يأتي وهو خالي الذهن، فارغ الجَعْبة؛ فتقل أهمية مشاركته ويضعف تأثير حضوره.

كل هذا الذي سبق ذكره يؤدي إلى الزهد باللقاء كلية؛ إذ كم يضيق المرء ذرعاً باللقاء وأهله إذا وجد ثلث الحاضرين أو أقل أو أكثر على هذه الشاكلة، ويتمنى لو لم يحضر أصلاً لمثل هذه المجالس العقيمة!!.

وأخيراً: الرأي هو إما أن يحضر المرء حضوراً مناسباً، أو ليعتذر؛ فهو أولى به وأجمل.

خاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

تلك كانت ثمانية مباحث أحسب أني بلغت بها قدراً مناسباً من الحديث عن هذا الموضوع المهم، بل هو بالغٌ في الأهمية مبلغاً يعرفه ويقدره من عانى وقاسى منه، وتوجع وتبرم طويلاً من تقصير أكثر الناس فيه وتضييعهم له.

وأرجو أن نفهم أننا لسنا ببالغين ما بلغته أقوام الغرب والشرق من رقي مادي إلا بإحسان ضبط مواعيدنا وعدم تهاوننا فيها. لا أقول هذا عن مبالغة بل من عرف ما ذكرته في هذه الرسالة وأدركه، ونظر بثاقب ذهنه إليه، صح عنده ما أقول ونفى عنه كل مبالغة وتضخيم.

هذا، وأدعو إخواني وأخواتي من المثقفين والقادرين على تسطير شيء في هذا الموضوع يضاف إلى ما ذكرته أن يسارعوا بالكتابة، ووضع الاقتراحات والحلول لمشكلة أحسب أنها من مشكلات العصر الرئيسة في العالم العربي خاصة وكثير من بلدان العالم الإسلامي.

هذا، والله تعالى أعلم وأحكم، وصل اللهم وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ ـ «**التماس السعد في الوفاء بالعهد**»، الحافظ السخاوي، محمد عبد الرحمن (ت ٩٠٢). تحقيق د. عبد الله الخميسي. نشر مكتبة العبيكان، الطبعة الأولى ـ سنة ١٤١٧.

٢ ـ «**الأعلام**»، الأستاذ خير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة ـ سنة ١٩٨٠.

٣ ـ «**أقوالنا وأفعالنا**»، الأستاذ محمد كُرْد علي، نشر دار إحياء الكتب العربية: عيسى البابي الحلبي وشركاه، سنة ١٣٦٥.

٤ ـ «**التذكرة الحمدونية**»: ابن حمدون ـ محمد بن الحسن بن محمد، تحقيق د. إحسان عباس وبكر عباس، نشر دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى ـ سنة ١٩٩٦.

٥ ـ «**تقريب التهذيب**»، الحافظ ابن حجر العسقلاني ـ أحمد بن علي (ت ٨٥٢) تحقيق الأستاذ محمد عوامة. نشر دار الرشيد، حلب، الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٠٦.

٦ ـ «**الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**»، الحافظ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢) تحقيق محمد سيد جاد الحق دار الكتب الحديثة، مصر.

٧ ـ «**العقد الثمين في المواقف والقصص المشرفة للإمام ابن عثيمين**»، جمع وترتيب عبد الرحمن بن يوسف الرحمة، الطبعة الأولى ـ سنة ١٤٢٢هـ.

٨ ـ «**عون المعبود شرح سنن أبي داود**»، محمد شمس الحق العظيم آبادي، ضبط الأستاذ عبد الرحمن عثمان، نشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ـ سنة ١٣٩٩.

٩ ـ «**عيون الأخبار**»، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (ت ٢٧٦) نشر دار الكتاب العربي، بيروت.

١٠ ـ «**في سبيل الإصلاح**» الأستاذ علي الطنطاوي، نشر مكتبة المنارة، مكة المكرمة، الطبعة الثانية ـ سنة ١٤٠٨.

١١ ـ «**قيمة الزمن عند العلماء**»، الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية بحلب، الطبعة السادسة ـ سنة ١٤١٥.

١٢ ـ **مجلة** «**البيان**»: العدد ٤٠، سنة ١٤١١، لندن.

١٣ ـ **مجلة** «**عفاف**»: العدد ٤، سنة ١٤٠٦، بيروت.

١٤ ـ **مجلة** «**لواء الإسلام**»: السنة ٣١، العدد الخامس، سنة ١٣٩٧، مصر.

١٥ ـ **مجلة** «**المجتمع**».

١٦ ـ «**المختار المصون من أعلام القرون**»، لواضع هذه الرسالة، نشر دار الأندلس الخضراء، جدة، الطبعة الأولى ـ سنة ١٤١٥هـ.

١٧ ـ «**المذكرات**»، الأستاذ محمد كرد علي، مطبعة الترقي بدمشق، سنة ١٩٥٠.

١٨ ـ «**مع الناس**»، الشيخ علي الطنطاوي، نشر دار المنارة، جدة.

١٩ ـ «**المنتقى من كتاب مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها**»، أبو بكر محمد جعفر بن سهل الخرائطي (ت ٣٢٧) انتقاء الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني، تحقيق الأستاذين محمد مطيع الحافظ وغزوة بدير، نشر دار الفكر، دمشق، الطبعة الثانية ـ سنة ١٤٠٨هـ.